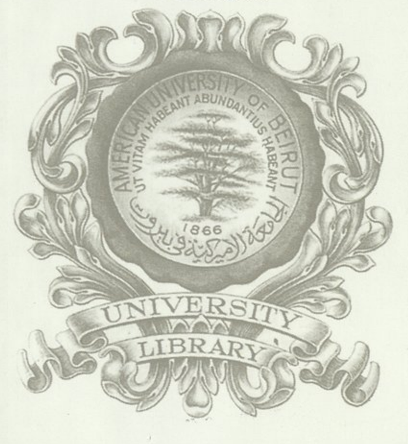
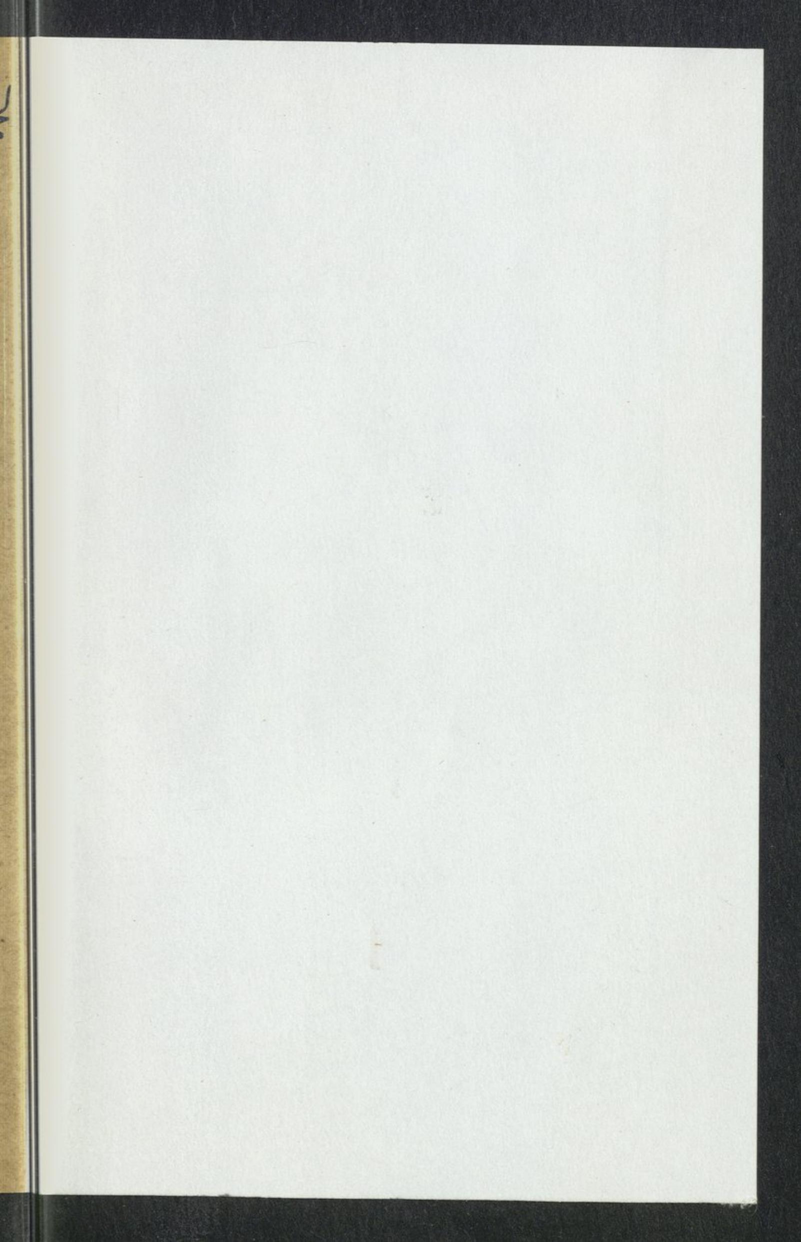



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت
UNIVERSITY
LIBRARY



لجنة الشباب المسلم

9

نظرية الإسلام السياسية

(معرب عن الأردية)

أبو الأعلى المودودي

أمير الجماعة الإسلامية بالباكستان

(٢)

لجنة الشباب المسلم

(للتأليف والترجمة والنشر)

غرض اللجنة المشاركة فى تكوين الوعى الإسلامى الرشيد عن طريق :

١ — نشر الكتب الإسلامية قديمها وحديثها .

٢ — ترجمة ما كتبه أهل الشرق والغرب عن الإسلام .

٣ — مجابهة مشاكل العصر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بأبحاث وافية ملائمة .

٤ — نشر تعاليم الإسلام بين الناس بإخراج طبعات شعبية رخيصة الثمن، أنيقة الطبع ، وإنشاء الندوات الفكرية وإخراج مجلة إسلامية

المراسلات باسم :

محمد رشاد رفيق سالم عضو اللجنة والمسئول عن النشر

٩٠ شارع أبى بكر الصديق بمصر الجديدة

لجنة الشباب المسلم

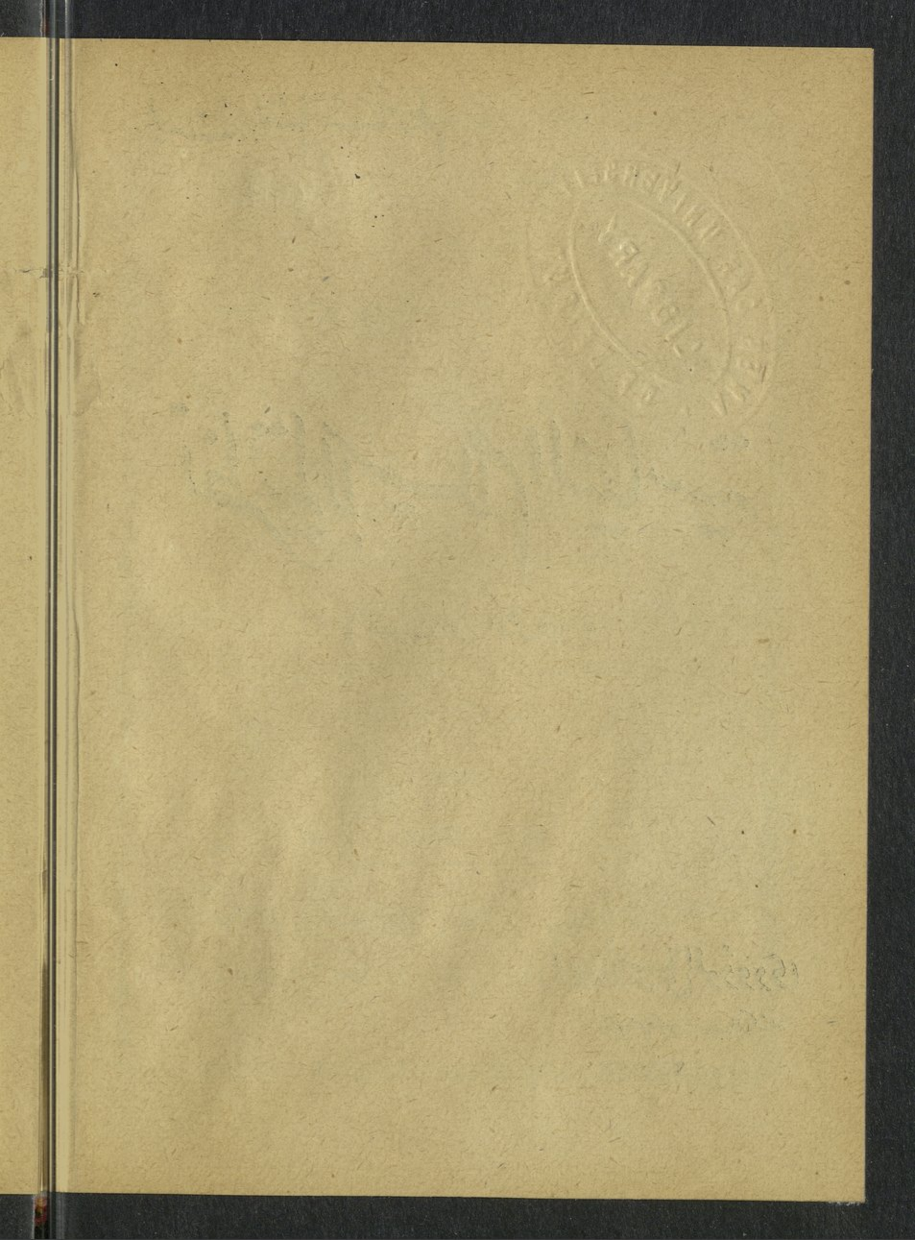
نظرية الإسلام السياسية

(معرب عن الأردية)

أبو الأعلى المودودي

أمير الجماعة الإسلامية بالباكستان

(٢)



بسم الله الرحمن الرحيم

لقد طلب إلىّ بعض الأصدقاء من أُولى العلم والرأى أن أُقَدِّم لهذه الرسالة وأخواتها بكلمة عن مؤلفها وعن الجماعة الإسلامية ودعوتها ، ليتمكن القارئ العربى من الاستئناس بالجو الذى نشأ فيه المؤلف ، وبالبيئة التى ساعدت فى تكوين شخصيته ، والاطلاع على الظروف والملابسات التى رافقت الدعوة من أول يومها .

وإذ سبق لى تأليف كتاب جامع فى « تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند » — وأيضا قد صحت العزيمة على تلخيصها فى رسالة — لا أرانى بحاجة إلى إرخاء عنان الكلام فى هذا المقام ؛ وإنما يكفينى فى هذه المقدمة أن ألم بالموضوع إلماماً وأجمل القول فيه إجمالا .

بلغت اليقظة الحديثة فى الهند الإسلامية أشدها بحركة الخلافة سنة ١٣٣٩ هجرية لكنها كانت حركة عاطفية غير

منبعثة عن فكرة ناضجة أو شعور عميق بمستقبل الإسلام والمسلمين فى هذه الديار . ومن ثم خمدت هذه الحركة بعدما ألغى الأتراك نظام الخلافة وجنح الهنادك إلى القومية الهندوكية المتطرفة فأصبحت سياسة المسلمين تتقلَّب يميناً وشمالا ، تتجاذبها العوامل المتضاربة وتلعب بها الأهواء والشهوات ، إلى أن ظهرت فيهم بعد الثلاثين من السنة الميلادية (أى سنة ١٣٥٠ الهجرية وما بعدها) حركتان متعارضتان وحزبان متناقضان : حركة تدعو إلى القومية الهندية المشتركة والانضمام إلى حوزة المؤتمر الوطنى الهندى ؛ وحركة تدعو إلى القومية المسلمة المتطرفة . وغير خاف على المسلم المستبصر ما فى الحركتين من خروج على الإسلام وخطر على مستقبله فى هذه الديار .

فالقومية الهندية المشتركة كانت تريد إدماج المسلمين فى حظيرة القومية الهندوكية ، تمهيداً للقضاء على الإسلام وشعائره فى هذه الديار كما يعرفه القاصى والدانى . وقد ظهر من أمرها بعد الاستقلال ماظهر ، والأمر قد سار بخبره الركبان . وكذلك القومية المسلمة المتطرفة المقاومة للقومية الهندية ، لم تكن أقل خطراً على

الإسلام من ضرتها ، لأن القائمين بها والداعين إليها ، وإن كانوا من أبناء المسلمين ، يتسمون بسمة الإسلام ، ويصيحون ويصرخون باسمه فى المحافل والمنتديات ، ما كانوا يعرفون من الدين المبين إلا اسمه ، وكان جلّ همهم من هذه الحركة أن يحصلوا على مملكة على طراز الجمهورية التركية الكمالية وأخواتها من الجمهوريات اللادينية فى الغرب . وكان من نتائج خطتهم المعوجّة وسياستهم الشوهاء أن كثر التبرج والاختلاط الممقوت فى مجالسهم ومؤتمراتهم ، وعمّت الرذائل ، وازداد المجتمع الإسلامى الهندى ميلاً إلى الخلاعة والفجور ، بله ما كان يجاهر بعض زعمائها من القضاء على آداب الإسلام وأخلاقه الزكية الطاهرة ، وما كانوا يُبدون من اعتزامهم تتبع معالم الغرب فى الحياة الاجتماعية والسياسية .

ظهرت هاتان الحركتان المتعارضتان بعد سنة ١٣٥٠ هـ — واشتد الخلاف بينهما بعد بضع سنين . وقد بلغ الأمر بأنصار الحركتين أن جعلوا يتنازعون فى كل نادٍ ومجلس ، وأخذت صحف الحزبين تمعن فى التنابز بالألقاب ، وبدأت الفوضى تنتشر

فى المجتمع الإسلامى الهندى . وقد بلغ الأمر إلى هذا الحد المؤلم المحزن . وَحَمَلَةُ العلم ومن بيدهم زمام أمر المسلمين ، غافلون ، عاملون لمناصبهم وأغراضهم ، أو منحازون إلى أحد الحزبين ، غارقون فى لُجّة الفتنة المظلمة . فالذى تنبه لهذا الخطر المحدق بمصير الإسلام فى هذه الديار وأدرك بنضوج عقله ، وثقوب فكرته و ما سيؤول إليه أمر المسلمين ، إن لم يُتدارك قبل استفحاله ، هو العالم المحقق والكاتب الألمعي الأستاذ أبو الأعلى المودودى (١) . فشمر ذيله للدفاع عن الدين المبين ، وتأهَّبَ للقيام بمهمة الدعوة إلى الإسلام ، إلى دين الله الكامل ، إلى نظام الحياة الشامل ؛ الكافل لسعادة البشر فى الدنيا والآخرة .

وأول ما بدأ به مهمته فى هذا الشأن ، هو إنشاء مجلة

---

(١) أصله من دهلى عاصمة البلاد الهندية منذ قديم الزمان . ولد سنة ١٩٠٣ م فى بيت من بيوتات العلم والشرف ، فثقف بالثقافتين : القديمة والحديثة ، واشتغل بتحرير جريدة « مسلم » فى دهلى ، وهو لم يتجاوز بعد السادسة عشرة من عمره ، رأس تحرير جريدة « الجمعية » الشهرية وهو ابن بضع وعشرين سنة ، صنف كتابه العلمى الضخم « الجهاد فى الإسلام » ، وهو دون الخامسة والعشرين من عمره . وله مصنفات ومؤلفات فى مختلف المواضيع الدينية والسياسية والاجتماعية ، سائرة مسير الشمس فى هذه الديار . وقد ترجمت ، ولا تزال تترجم فى مختلف اللغات اهـ

« ترجمان القرآن » الشهرية سنة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م تمهيداً لسبيل الدعوة وتوطئة لواجب إقامة الدين . وأهم ما عُنى به فيما عُنِي به من إنعاش الفكرة الإسلامية وتوطيد دعائمها ، وإيضاح معالمها ، هو دحض الشبهات الباطلة ، وتفنيد الآراء الزائفة ، وتحرير العقول من ربقة التفرنج والإلحاد ، وتنقية القلوب من أوساخ الجمود والتقليد الأعمى ، فجعل يكتب المقالات تلو المقالات فى الكشف عن عورات المبطلين ، وتبيين محاسن الإسلام ، وإيضاح تعاليمه السامية الشاملة التى خفيت معالمها ، واضمحلّت آثارها فى القرون المتأخرة ، قرون الجهل والجمود والتقليد الأعمى .

وما زال مثابراً على عمله ، واصلاً ليله بنهاره ، مواظباً على دعوته سنين عديدة ، حتى بدأت تثمر دعوته ، وأخذت قلوب الناشئة المثقّفة تلتف حوله . وكان من أثر دعوته أن ثابَتْ إلى رُشدها نخبة ممتازة من الشباب المنخدعين بتُرّهات الغرب وأفكاره الباطلة ، وآمنت بالإسلام من جديد ، وأبدت استعدادها للعمل على إحياء الإسلام وإعلاء كلمته فى هذه الديار .

ولما أن اجتازت مجلة « ترجمان القرآن » المرحلة الأولى

(١٣٥١/ ١٩٣٢ — ١٣٥٦/ ١٩٣٧) من دعوتها ، شرع صاحبها الألمعى فى المرحلة الثانية من مهمته ؛ وذلك بإعلان حرب شعواء على المؤتمر الوطنى الهندى والقومية الهندية المشتركة وما زال بالأمر حتى تزلزل بنيان الكفر وتضعضعت أركانه ، ولم يبق فى دائرته إلا شرذمة قليلة من أعضائها المسلمين . وذلك مما قوّى ساعد الرابطة المسلمة الداعية إلى القومية المسلمة المتطرفة .

وبعد ماخرج الأستاذ المودودى من حملته الأولى ظافراً ، شرع فى الحملة الثانية — وهى المرحلة الثالثة من الدعوة وأشدها خطراً — فبيَّن للناس ما فى القومية المسلمة والدعوة إليها من ضرر للإسلام ، وشرح لهم ما يضمره دعاة هذه الحركة من عداء للإسلام وشعائره . والذى صرف أنظار الجمهور إليه فى مقالاته ومحاضراته بوجه خاص هو التنبه للفرق العظيم بين الإسلام والمسلمين ، وأن كل من وُلد من أبوين مسلمين وكُتب مسلما فى سجل الإحصاء الرسمى ، لايلزم أن يكون مؤمناً بالله ورسوله ، وأن الرابطة المسلمة التى حشدت فى دائرتها كل غث وسمين من مطايا الاستعمار ، وأذناب الشيوعية ، وأتباع الكمالية ، من أبناء المسلمين ، ليست من الجماعة الإسلامية فى شىء ، وإنما هى

جمعية للمسلمين الجغرافيين — حسب التعبير الشائع — توحدت
كلمتها وانتظم عقدها لمحاربة القومية الهندوكية والمؤتمر الهندى
الوطنى ، فما أن ظهرت هذه المقالات [1] المتتابعة وسارت مسير
الشمس فى الأقطار الهندية حتى انقسم الذين يشعرون بواجباتهم
ويتفكرون فيما يتعلق بمصير المسلمين من المسائل والمشاكل ،
وانقسموا قسمين : قسم — وهم الأغلبية الساحقة من أنصار
الرابطة المسلمة وأتباعها — استشاط غضباً وأخذ فى النيل من
كرامة الدعوة الإسلامية ، وبدأت صحفهم تسخر من دعوة
الإسلام وفريضة إقامة الدين ؛ وقسم — وهم الصفوة المختارة
من شباب هذه الديار — ازدادت إيماناً إلى إيمانها ، وقالت
بملء أصواتها : « لابد من جماعة تقوم بدعوة الإسلام الخالص
وتدعو الناس إلى إقامة نظام الحق والعدل فى أرض الله » .

كل ذلك حدث فى السنتين (١٣٥٨ — ١٣٥٩ هـ /
١٩٣٩ — ١٩٤٠ م) والمطالبة بتأسيس « جماعة إسلامية »
جعلت تتقوّى وتشتد ؛ والأستاذ المودودى مكبٌّ على عمله ،

---

(١) جمعت هذه المقالات وطبعت منها عشرات الألوف من النسخ .

يؤلف ويحرر ويزور الجامعات الكبرى والكليات الشهيرة ، يلقى المحاضرات وينشر أفكاره بين الناشئة ، حتى صحت عزيمة تلك الصفوة المختارة من شباب الأمة أن تؤسس الجماعة الإسلامية فاجتمع خمسة وسبعون رجلاً ممن سبقوا إلى إجابة الدعوة فى « لاهور » واتفقت كلمتهم على أن ينتخبوا الأستاذ أبا الأعلى المودودى أميراً للجماعة ، وجعلوا غايتها : « إقامة نظام الإسلام الكامل على وجه الأرض وابتغاء وجه الله فى الدار الآخرة » . وكان ذلك فى شعبان سنة ١٣٦١ هـ / أغسطس سنة ١٩٤١ م

وهذه عشر سنوات مضت على تأسيس الجماعة ، وهى فى طريقها ، بتؤدة ووقار ، غير عابئة بما يعترض فى سبيلها من عقبات ومشاكل ، متوكلة على الله عز سبحانه ، مستمدة منه التوفيق والنصر .

هذا آخر ما أردت تحريره فى هذه المقدمة ، وسيجد القارئ تفاصيل هذا الباب فى مواضعها إن شاء الله تعالى ، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين ؟

كتبه العاجز الفقير إلى الله

مسعود الندوى

عاشر شهر رمضان الأغر سنة ١٣٧٠ هـ

مقدمة الترجمة

هذه الرسالة محاضرة ألقاها الأستاذ السيد أبو الاعلى المودودى رئيس تحرير مجلة «ترجمان القرآن» بمدينة لاهور عاصمة (بنجاب) وذلك قبل اثنى عشر عاما ، فى اكتوبر ١٩٣٩ .

ألقيت هذه المحاضرة فى زمان التبس فيه الأمر على الناشئة المثقفة ، وكادت تكون فى حيرة من أمرها من جراء النزاع والصراع الشديد بين النظريتين ، نظرية القومية الهندية الجارفة التى كان يدعو إليها المؤتمر الوطنى الهندى (Indian National Congress) ونظرية القومية المسلمة المتطرفة التى لا تفرق بين الإسلام الحقيقى والإسلام الجغرافى (إن صح التعبير) والتى كانت تقوم بالدعوة لها الرابطة المسلمة (Muslim League) ، فكان من تأثير هذه المحاضرة أن انكشف وجه الحق والصواب فى شأن النظرية السياسية الإسلامية وعلم الجميع مايدعو إليه الإسلام من غاية سامية ، وتبين لهم الفرق بين نظرية الإسلام السياسية والنعرات الوطنية والقومية الزائفة ، وأصبحوا على حذر من دعاة النظريات الباطلة المعارضة للاسلام وتعاليمه .

ألقيت هذه المحاضرة سنة ١٩٣٩ ، فطبعت منها عشرات الألوف من النسخ باللغة الأردية ، وترجمت إلى الإنكليزية وكثير من اللغات الهندية ، وظهرت الترجمة العربية قبل أربع سنين ، فتلقفتها الدوائر الإسلامية فى بلاد العرب بالقبول مما شجعنا على مواصلة العمل بتعريب هذه السلسلة من رسائل الدعوة التى ألفها الأستاذ المودودى — أمير الجماعة الإسلامية — ونخبة من زملائه .

وها هى ذى الطبعة الثانية من هذه الرسائل تظهر فى مصر بعد شىء من التنقيح والتصحيح ، وذلك باقتراح من إخوان صدق لنا فى الدعوة ، اجتمعت قلوبنا على حب الإسلام ، جزاهم الله عن الإسلام ودعوته خير الجزاء ، ووفقنا وإياهم فى العمل لإقامة الدين الكامل ، والنهوض بدعوته من جديد .

والمأمول أن تنال هذه الرسالة الحظوة لدى الناشئة الإسلامية ، وأن تتبعها الرسائل الأخرى من هذه السلسلة عن قريب ، إن شاء الله تعالى .

والله ولى التوفيق ، وهو قريب مجيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بلدة كرجرا نواله (باكستان)
(رابع جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠)

العاجز الفقير إلى الله
مسعود الندوى
معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية

تمهيد

« الإسلام نظام جمهورى » كلمة كثيراً ما نسمعها اليوم فى الأندية السياسية والمحافل العلمية ، وهى لا تزال تعاد وتكرر منذ أواخر القرن الماضى ، ولكن الذين ينطقون بها و يلهجون بذكرها قلما يوجد فيهم من درس الإسلام دراسة علمية وأنعم النظر فى تعاليمه واجتهد أن يتفطن إلى أوضاعه السياسية ، ووقف شيئاً من جهوده لمعرفة مقام الجمهورية فى الإسلام ، والاطلاع على أوضاعها وأشكالها والفرق بينها و بين الجمهوريات الغربية السائدة فى العالم اليوم .

ومن أجل ذلك ترى بعضهم ينظر إلى « نظام الجماعة فى الإسلام » إلى عدة من أشكاله الظاهرة ، فيلصق به اسم الجمهورية . وأما الأكثرون ، فلمرض فى نفوسهم وضعف فى عقليتهم يودون أن يثبتوا فى الإسلام كل ما يرونه قد راج فى أسواق العالم

المتحضر ، وبالأخص فى الأمم المتغلبة عليهم ، زاعمين أن ذلك خدمة جليلة للدين القيم ، فكأن الإسلام فى أعينهم ولد يتيم ساقط لا يعيش إلا إذا جُعل تحت رعاية رجل ذى جاهٍ ونفوذ ، أو هم يخافون أن لا عزة لهم من حيث كونهم مسلمين ، ولا ينالون من الشرف شيئاً إلا إذا أخرجوا للناس مبادىء وأصولا من دينهم تثبت مبادىء النظم الاجتماعية النافقة فى عصرهم ، ومن نتائج هـذه العقلية المريضة الشائعة أنه لما راجت فى الناس « الشيوعية » (Communism) رواجها ، قامت طائفة منا معشر المسلمين ينادون فى الناس ، أن ليست الشيوعية إلا طبعة جديدة للإسلام ، وحينما سمعوا بالدكتاتورية أخذوا يصيحون بطاعة الأمير ، ويدعون بدعايتها معلنين أن نظام الإسلام الاجتماعى كله قائم على الدكتاتورية (Dictätor ship) وجملة القول أن نظرية الإسلام السياسية أصبحت اليوم لغزاً من الألغاز ، وخليطاً من أجزاء متناقضة يُستخرج منها للناس ما راق لديهم ، ونفق فى سوقهم .

فالحاجة ماسة الآن إلى أن ندقق فى المسألة ونكشف الغطاء عن وجه « نظرية الإسلام السياسية » رجاء أن ينقشع بذلك هذا الظلام الفكرى الضارب أطنابه على المجتمع ، وتُلجَم بذلك أفواهُ من أعلنوا سفهاً « أن الإسلام ماجاء للمجتمع الإنسانى بنظام اجتماعى ولا سياسى أصلا » فنخرج بذلك نوراً للذين يتسكعون فى ظلمات العصر حائرين لا يهتدون ، وهم اليوم فى أشد الحاجة إلى مثل هذا النور ، وإن كانوا لا يشعرون بحاجتهم إليه .

أساس النظريات الإسلامية كلها

والذى ينبغى أن نعرفه قبل كل شىء ولا نغفل عنه أبداً ، أن الإسلام ليس بمجموعة من الأفكار المبعثرة وطرق العمل المتفرقة ، حشدت فيها من هنا وهناك أشياء لا صلة لبعضها بالبعض الآخر ، بل هو نظام جامع محكم أسس على مبادىء حكيمة متقنة ، وأركانه الكبيرة المهمة إلى الجزئيات الصغيرة الدقيقة كلها ترتبط بتلك المبادىء ارتباطاً منطقياً ، وكل ما وضع فيه للحياة الإنسانية لمختلف شعبها من النظم ، إنما قد أخذ روحه واقتبس جوهره من تلك الأصول الأولية ، ومن هذه المبادىء والأصول تخرج الحياة الإسلامية بمختلف فروعها ، كما ترون فى الشجرة أن البذر يكوِّن الجذر ، والجذر يكوِّن الجذع ، والجذع يكوِّن الغصن ، والغصون تكوِّن الأوراق ، حتى تكون الشجرة باسقة ممتدة ، ولكن مع امتدادها وبسوقها تظل كل

ورقة منها ترتبط بجذرها ارتباطاً وثيقاً ، فكذلك إن أردت
معرفة أية شعبة من شعب الحياة الإسلامية معرفة صحيحة
صادقة ، فلا محيد لك من أن ترجع إلى أصلها ، فإنك لن
تتمكن من الدخول إليها من غير ذلك الباب ، ولن تعرف
حقيقتها وماهية أمرها إلا بالإمعان فى أصولها وقواعدها .

المهمة التى قام بها الأنبياء عليهم السلام

يعلم كل منا ولو علماً إجمالياً أن الإسلام إنما هو المهمة التى قام بها الرسل عليهم السلام ، ولم تكن رسالة خاصة بالنبى الأمى العربى صلى الله عليه وسلم ، وإنما كانت مهمة جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه منذ أقدم عصور التاريخ الإنسانى ، كلهم يدعون الناس إلى الإسلام ، إلى توحيد الله عز وجل و إلى عبادته وحده ، هذا ما يعرفه الناس إجمالياً ، كما قلنا آنفا .

ولكن يجمل بنا فى هذا المقام أن نكشف قناع الإجمال عن وجه المسألة ونسبر غورها ، حتى نعرف ما كان يريده الأنبياء دعاة الإسلام بتوحيد الإله ، وما معنى عبادة الواحد الأحد وحده ؟ وماذا كان وراء قولهم : « مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه » ؟ وما بال من مضوا من الأمم كلما جاءهم رسول من عند الله يدعوهم إلى عبادة الله الواحد واجتناب الطاغوت ، انقضوا عليه ، وكادوا

يكونون عليه لبدا ؟ فإن كانوا قد أرادوا بقولهم لمن عاصرهم :
« اعْبُدُوا اللهَ مَا لَـكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ » أن يسجدوا لله الواحد
فى معابدهم ، وأن يكونوا أحرارا فى شئونهم وأمور مملكتهم
إذا خرجوا من المعابد ، يفعلون ما يشاءون ويطيعون من يريدون
من الملوك والمماليك ، فإن كانوا قد أرادوا ذلك — كما يظن
الناس اليوم . — فما بال الحكومات وولاتها ؟ أتراهم قد أصيبوا
فى عقولهم أن يمنعوا رعاياهم الوفية المطيعة عن إتيان هذه الفروض
والمناسك ، ويتدخلوا فى أداء مثل هاتيك الشعائر التى لا تضر
بمصالحهم ؟ فعلينا الآن أن نستكشف السبب الحقيقى الذى قام
لأجله النزاع بين رسل الله الأكرمين والأمم الطاغية فى أمر الله
تعالى شأنه وتباركت أسماؤه ، فإن الحقيقة لا تنجلى للناس بمظهرها
التام إلا بعد إماطة اللثام عن وجه هذه المسألة .

إن القرآن قد بين فى مواضع كثيرة أن الكفّار والمشركين
الذين كانوا فى نزاع مستمر مع الأنبياء لم يكونوا من المنكرين
لوجود الله ، بل كانوا يعترفون له بخلق السماوات والأرض

وبخلق أنفسهم ، وبأنه هو الذى يدبر الأمور ، وهو الذى ينزل الغيث ويرسل الرياح بُشرىً بين يدى رحمته ، وبيده الشمس والقمر وبيده السماوات والأرض ومن فيهن كما قال الله عز وجل :

« قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ ، قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونْ ؟ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ » .

(المؤمنون : الآيات ٨٤ــ٨٩)

وقال تعالى : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ » (العنكبوت : الآيات ٦١ــ٦٣)

وقال تعالى : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ » (الزخرف آية ٨٦)

يتبين من هذه الآيات أنه لم يكن بينهم خلاف فى وجود الله وفى أنه خلق الخلق و بيده ملكوت كل شىء ، فمن الظاهر أن الرسل ماجاءوهم ليدعوهم إلى تلك العقيدة التى كانوا يعتقدونها و يعترفون بها ، فلم كانت بعثتهم ؟ وعلى أى شىء قام النزاع بين رسل الله و بين من أرسلوا إليهم من الأمم ؟

يوضح لنا القرآن أن الرسل كانوا يقولون فى دعوتهم لهم : إن الذى خلق السماء والأرض وخلق أنفسكم إنما هو ربكم وإلٰهكم فلا تجعلوا إلٰهاً وربًّا من دونه ،ولا تجعلوا له أنداداً ، ولكنهم لم يكونوا مستعدين لقبوله .

فقل لى بالله ما الذى منعهم أن يتقبلوه بقبول حسن وأى ضرر كان لهم فيه ؟ وما معنى الإله وما هو الرب ؟ ومامعنى الذى جعل الأنبياء مُصرين على أن الله هو الرب والإله ؟ وما الذى جعل من أرسلوا إليهم يناوئونهم بمجرد ماسمعوا بدعوتهم ؟.

الإله :

يعلم كل منا أن الإله معناه (المعبود) ، والمعبود أهل العبادة ، والعبادة ليست بمعنى الشعائر والمناسك فحسب ، بل العبد الذى يعيش عيشة العبودية فحياته كلها عبادة . فالقيام بالخدمة والركوع والسجود والجد والسعى فى إطاعته والقيام بكل ما يأمر وينهى ؛ والتذلل لقوته ، والانقياد لجبروته ، والإطاعة فى كل ما سنّ له من قانون ، والمناصبة لكل ما يكون مخالفاً لأمره ، وتضحية النفس ، و بذل المهج فى سبيل رضاه .

هذه كلها عبادة وهذا المعنى الحقيقى للعبادة ، والمعبود فى الحقيقة هو الذى يعبده المرء مثل هذه العبادة .

الرب :

أما الرب فهو بمعنى المربِّى . ومن المعلوم أن المربى يُطاع أمرُه ، فلأجل هذه المناسبة جاء بمعنى المالك والسيد المطاع كما يقال « رب المال » و « رب الدار » . فكل ما جعله المرء

رازقاً مربياً ، يرتجى منه العطف ويأمل منه الأمن والرقىّ والجاه ويخشى إن سخطه أن يجلب عليه الضرر وينغص الحياة ويحسبه مالكا وسيداً يطيعه فيما يأمره به ولا يعصى له أمراً فهو ربه ، أو بعد ما عرفت من معنى الكلمتين واستأنست بمغزاهما ، تحسب أنه يوجد شىء فى ما خلق الله من السموات والأرض ، يقوم فى وجه الإنسان ويقول له . . . « إنى إلٰهك وربك فاعبدنى » ؟

أيدعى ذلك الحجرُ أو الشجرُ أو الحيوانُ أو الشمسُ أو القمرُ أو غيرهما من الأجرام النيرات فى السماء ؟ لا ، لا ، والله لا يقوم فى وجه الإنسان شىء من هذه يدّعى الألوهية والربوبية ، بل إنما الإنسان وحده الذى يبعثه حب السلطة ، وهوى الأثرة ، على أن يجعل نفسه إلٰهاً لغيره من أبناء نوعه يستعبدهم وينفذ فيهم أمره ، ويقهرهم على الانقياد والطاعة ، ويجعلهم آلة لتحقيق هواه ، فلم يعرف الإنسان شيئا ألذ وأحلى من تأليه نفسه ، فكل من نال شيئاً من المال ، أو القوة ، أو رُزق شيئا من الدهاء والنبوغ ، تُسَوِّلُ له نَفْسُهُ أن يستكبر ويتعدى حدوده الفطرية

ويرقىٰ عرش الألوهيـة ، ويستعبد كل من حوله من الناس المستضعفين والفقراء الذين لايجدون للقيام فى وجهه سبيلا .

فالذين يريدون أن يتسنموا ذروة الألوهية ويتطلعون إليها على نوعين ، ويسلكان فى هذا الأمر طريقين مختلفين . فالنوع الأول هو الذى عنـده جراة شديدة ، أو تهيأ له من الوسائل مايراه كافياً لتحقيق هواه الكاذب من غير استحياء . ولنضرب لك فرعون مثلا ، الذي اغْتَرّ بما قد آتاهُ الله من جلال الملك وأبهة السلطان ، وبما كان عنده من القوه وعتاد الحرب ، فنادى فى المصريين :

« أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » ، « وَمَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِى » وقد بعث الله نبيه موسى إليه وإلى قومه ، فدعاه إلى الصراط المستقيم وقال له :

« هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى » ، وطالبه بأن يُخْلِىَ سبيل بنى إسرائيل ويطلق سراحهم ، فأجابه فرعون بقوله :

« لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ »

وكذلك الملك الذى حاجّ سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذى ذكره الله فى كتابه ، فقال عز من قائل :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ . وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » . (البقرة : ٢٥٨)

فما الذى جعله مبهوتاً ؟ ! ولماذا أخذته الحيرة والدهشة بغتة ؟ لأنه لم يكن منكراً لله ، بل كان يعتقد أن الله هو سيد الكون وبيده مقاليد السماوات والأرض وهو الذى بأمره تطلع الشمس وتغرب ، فالنزاع لم يكن فى أنه رب السماوات والأرض ومن بيده ملكوت كل شىء ، بل كان جداله فى من هو مالك رقاب الناس عامة والذين منهم فى بابل خاصة ؟ فلم يكن من دعواه أنه هو « الله » بل كان يقول إنى رب هذه

البلاد وأهلها ، ولم يكن يقول بذلك إلا لأنه كان مالكاً لرقاب الناس آخذاً زمام الملك بيده ، يتصرف فيه كيف يشاء ، ويسوق الشعب بعصا سلطانه حسب ما تملى عليه أهواؤه ، وكان يجد فى نفسه قدرة على أن يضرب عنق من يشاء ويطلق سراح من يشاء من رعيته ، وقد كان يشعر بأن قوله حكم لا مَرَدّ له وأمره نافذ فى البلاد لا يعترض دونه معترض ، ولا يتعرض له أحد باستنكار . ولأجل ذلك طلب من إبراهيم الخليل أن يعترف له بالربوبية وينقاد لأمره ويعبده كما يعبد الناس ولكن لما قال له إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه : « إنى لا أعرف لى رباً إلا رب السمٰوات والأرض وهو رب العالمين ، ولا أعبد إلا إياه ، وهو الذى تعبده الشمس فى مطلعها ومغربها » بهت وتحير ، وما تحير إلا لأنه لم يدر كيف يساير مثل هذا الرجل فى الحجة ويقارعه فى الكلام .

فهذه الألوهية التى ادعاها فرعون ونمرود ، ليست بقاصرة عليهما ، بل نجد الملوك فى كل أرض وفى كل زمان ينتحلون

تلك الألوهية ويدَّعونها ، فهذه بلاد الفرس كانت تخاطب ملوكها بلفظ « خُدَّا » و « خُدَّاوند » ، وكان الناس يقومون لهم بجميع ما يكون من آداب العبودية ، والحال أنه لم يكن فيهم من يحسب الملك « خُدَّاىِ خُدَّائِـكَانْ » يعنى الله ، ولا كان الملوك أنفسهم يدَّعون ذلك ، وكذلك ترى البيوتات الحاكمة فى الهند كانت تنتمى بنسبها إلى الآلهة « ديوتا » — فهناك أسرتان تعرفان حتى اليوم (سورج بنسى وچندر بنسى) أى ذرية الشمس وذرية القمر . وكان أهل الهند يخاطبون ملوكهم بكلمة « أن داتا » أى الرازق ، ويسجدون لهم ، والحال أنهم ما كانوا يرون من ملوكهم أنهم هم « برميشور » أى الملك ، وكذلك الملوك أنفسهم لم يكونوا يدعون ذلك ، وما زال الناس فى العصور الغابرة سائرين على هذه الخطة ، وكذلك حالهم اليوم فى معظم أقطار العالم ، فإنه لا يزال الملوك يخاطبون فى بعض البلاد بكلمات تماثل كلمتى الاله والرب فى المعنى . وأما البلاد التى لا تستعمل فيها الألفاظ الصريحة بهذا المعنى . فهناك تجد

هذه الروح سارية فى النفوس ، فإنه ليس من الضرورى لهذا النوع من دعوى الألوهية أن ينادى الرجل فى الناس بأنى : « إلهكم وربكم » لا ، بل كل من يملك على الناس قلوبهم وأجسامهم ويتحكم فى دمائهم وأموالهم بما يشاء ويسوقهم بعصا سلطانه المطلق والسيادة المستبدة التى سلطها على الناس فرعون ونمرود لعهدهما ، فهو يدعى الألوهية والربوبية حقيقةً ومعنىً ، وإن لم يتفوه بألفاظها ، والذين هم يطيعونه وينقادون لأمثاله يسلمون لهم بالألوهية والربوبية وإن لم تجر هذه الكلمات على ألسنتهم ، وبالجملة إن نوعاً من البشر يدعى الألوهية والربوبية مباشرة من غير استخفاء .

وهناك نوع آخر لم يتهيأ له من القوة والوسائل المادية مايؤهله للقيام بهذه الدعوى الخطيرة وإخضاع الناس لإرادته ، فهم يتسلحون بأسلحة من الشعوذة والدجل يسحرون بها قلوب الناس وألبابهم فيعمدون إلى روح أو آلهة (ديوتا) أو وثن أو قبر أو كوكب أو شجرة فيجعلونها إلهاً وينادون فى الناس

أن هـذا إلهـكم وله قدرة أن ينفعكم أو يضركم وهو يقضى حاجاتـكم وهو وليكم وناصركم ولئن لم ترضوه ليأخذنكم بأنواع من القحط والمرض والآلام ، وإن أرضيتموه وطلبتم منه العفو فهو ينصركم ويأخـذ بأيديكم . ولـكن لا يعلم طرق إرضائه وجلب عنايته أحـد سوانا ، فاجعلونا وسـيلة للوصول إليه وعظمونا وأرضونا واجعلوا فى أيدينـا كل ما تملـكونه من النفس والمال والعرض ، فـكثير من حمقى الناس يقعون فى شركهم الذى ينصبونه لهم ، وبمثل هذه الصورة وبواسطة هاتيك الآلهة الـكاذبة الباطلة تقوم دعائم ألوهية هؤلاء المشعوذين من سَدَنة المعـابد وخدمهم ، ويتحكمون فى مقادير الناس بمـا يشاءون وتشاء شهواتهم الدنيئة .

ومن هذا النوع الأخير رجال يحترفون لهذا الغرض الـكهانة والتنجيم واسـتخراج الفأل وكتابة التعاويذ والرقى . ومنهم من يعترفون بأنهم عباد الله مثل سائر الناس ، ولـكنهم يرون أنه لا يمكن الوصول إليه ، تباركت أسماؤه ، مباشرة من دون وساطة

وأنهم هم الذين يُتقرب بهم إلى الله وأن كل ما يؤدى الناس من آداب العبودية ونسكها ، إنما يؤدى بواسطتهم ، وكذلك طقوسهم وشعائرهم التى يقومون بها فى حياتهم ، وكلها بأيديهم وبوسيلتهم . ومنهم من يستبدون بكتاب الله ويعدون أنفسهم حملة له من دون غيرهم ، فيحرمون العامة علمه وينفذون فى الناس أحكامهم ، يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يريدون زاعمين أن الله ينطق بألسنتهم وبمثل هذه الحيلة يقهرون الناس على أن يتبعوهم ويتخذوهم أرباباً من دون الله ، وهذا هو الأصل للبرهمية والبابوية السائدة فى مختلف أنحاء المعمورة إلى يومنا هذا بصورة مختلفة وبأسماء متنوعة ، وهى التى اتخذت منها بعض الشعوب والقبائل والبيوتات آلة وحيدة لسيادتهم وسلطتهم على الناس .

وإذا نظرت إلى المجتمع الإنسانى من هذه الوجهة ، استيقنت نفسك أن منبع الشرور والفساد الحقيقى إنما هو « ألوهية الناس على الناس » ، إما مباشرة وإما بواسطة ، وهذه هى النظرية المشؤمة التى تولد الشر منها أول أمره وهى التى لا تزال تنفجر منها عيون الشر اليوم فى كل مكان .

أما الله فإنه عليم بأسرار الفطرة البشرية ، فلا تخفى عليه خافية من شرور النفوس وأهوائها . ولكن التجارب التاريخية طوال القرون الماضية المتطاولة ، قد جعلتنا أيضاً على بينة من الأمر و بينت لنا تبييناً أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش من غير أن يتخذ لنفسه إلهاً ور باً فلا يتخلص البشر من الإله والرب ، و إن لم يرض بالله ر باً و إلهاً فحينذاك يتسلط عليه جنود مجندة من الأرباب والآلهة الباطلة .

وإن كنت فى ريب مما قلت آنفاً فانظر إلى الحزب الشيوعى فى روسيا ، أليس الذين بيدهم زمام مكتبه السياسى (Politicat Buren) أر باباً من دون الله آلهة لأهل البلاد ؟ وأليس « ستالين » كبيرهم و بطلهم ، ربهم الأعلى ؟ وهل فى بلاد الروس من قرية أو مزرعة (Form) تخلو من صورة إله الروس وطاغيتهم هذا ؟ وهل أتاك حديث القوم كيف افتتحوا النظام الشيوعى فى القطعة التى استولوا عليها فى بولونيا ؟ لقد بعثوا ألوفاً من النسخ لصورة « ستالين » فبثت فى كل قرية ليعرفوا

أولا وقبل كل شيء ، إلههم العظيم وربهم الكبير ثم يدخلون في الدين البلشفي ، فعلام نال مثل هذه الأهمية رجل مثلنا ، خلق من ذكر وأنثى ؟ ولأى سبب يسلط رجل وإن كان يمثل جماعة (Community) . على رؤوس ملايين من البشر وأرواحهم بحيث تجرى عظمته وكبرياؤه فى عروقهم وشرايينهم ؟ أليس هذا من أساليب الاستبداد الشخصى ؟ ومن هناك نعرف كيف يصير البشر إلهاً لبشر مثله ، وبمثل هذه الطرق تتولد الفرعونية والنمرودية والمزارية والقيصرية وتتأصل جذورها فى كل زمان .

وهكذا الحال فى « إيطاليا » ، نجد المجلس الفاشى الكبير مجمع الآلهة وناديهم ، و « موسولينى » إلههم الأكبر . وكذلك ترى فى « ألمانيا » زعماء حزب النازى به كأنهم آلهة من دون الله ، وعلى رأسهم الإله الأكبر « هتلر » ولا تحسبن «انكلترا» الجمهورية[١] خلوا من أولئك الآلهة الباطلة على تشدقها بالديمقراطية (Democraty) أولا ترى نظار مصرفهم الكبير

(١) يقصد الديمقراطية

(Bank oF England) وعدداً من الطبقة العليا من أصحاب الثراء وأرباب السياسة كيف أخضعوا رقاب الجمهور لمطامعهم الأشعبية؟ وهكذا شأن أمريكا فإن الماليين منهم — وربما لا يتجاوزون عدد الأنامل — قد استبدوا بموارد الثراء بأسرها واحتكموا فى نفوس الأمة وأموالها ودمائها . فأصبحوا بفضل ثروتهم آلهة للأمة الأمريكية .

وبالجملة إنك حيثما وجهت نظرك وجدت أن أمة اتخذت نفسها إلهاً لقوم آخرين أو طبقة سلطت ألوهيتها على طبقات أخرى ، أو حزباً سياسياً استولى على مناصب الألوهية والربوبية واستبد بها ، أو تجد مسيطراً (ديكتاتوراً) ينادى الملأ «ماعلمت لكم من إله غيرى » فلم يبق البشر فى أى بقعة من الأرض من غير إله ! !

ثم انظر ماذا يكون من ثمرات ألوهية الناس على الناس وما يترتب عليها من عواقب وشرور . فمثلها فى ذلك كمثل سفيه يناط به رياسة الشرطة أو رجل أمى سىء الخلق يتبوأ كرسى

رئيس الوزراء . فإن نشوة الألوهية بطبيعتها تخرج المرء من حدوده ، وإن لم يخرج وبقى معتدلا فى فكره ، فهل للبشر ذلك العلم المحيط وذلك العدل والتعفف والتزهد فى مطامع الدنيا والتجرد عن الشهوات التى يحتاج إليها فى الألوهية ؟ ومن ثم نرى أن كل مكان قامت فيه ألوهية الناس على الناس ، قد فشا فيه الظلم والجور والاستثمار الممقوت والتكبر فى أرض الله بغير الحق ، وحرمت الروحُ البشرية حريتها الفطرية ، وغلبت العقول البشرية على أمرها وغُلَّت طبائعها الفطرية وخصائصها الفكرية بأنواع من الأغلال ، ومنعت الشخصية الإنسانية كمال نشوئها وارتقائها فما أصدق ماقال سيد البشر سيدنا ومولانا النبى العربى صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل إنى خلقت عبادى حنفاء؛ فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم من دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم »(١) .

فقد تبين لك أن ألوهية الناس على الناس إنما هى أصل

---

(١) صحيح مسلم . مشكاة المصابيح . باب الانذار والتحذير .

كل المصائب والدمار ، وهى أصل جميع ما منى به البشر اليوم من البؤس والشقاء ، وهذا هو الداء الذى أفسد أخلاق البشر وروحانيتهم وقواهم العلمية والفكرية ، وأكل مدنية الناس وحياتهم الاجتماعية وسياستهم ومعايشهم ، وبلفظة أخرى إن هذا الداء قد أكل إنسانية البشر كما تأكل المرء حمَّى الدِّق . أكل الإنسانية منذ أقدم العصور فى التاريخ الإنسانى ولا يزال يأكلها إلى عصرنا هذا . فليس لهذا الداء من دواء إلا أن يقوم الإنسان فيكفر بالطواغيت جميعاً ، ويؤمن بالله العزيز الذى لا إله إلا هو ، ويخصه — تقدست أسماؤه — بالألوهية والربوبية ، فهذا هو الطريق الوحيد لنجاة البشر من براثن ذئاب الإنسانية وقطاع سبيل البشرية . فإنه لن يتخلص من كثير من أولئك الطواغيت والآلهة الباطلة إلا بالإيمان بالله العزيز الحميد ، وإن ادعى الإلحاد وتشدق بالدهرية .

مهمة الأنبياء الحقيقية :

فهذا هو الصلاح الحقيقي الذى ظهر فى المجتمع الإنسانى على أيدى رُسُل الله الكرام ، وهذه هى النظرية الصالحة التى بعث الأنبياء بها إلى الناس ، فإنهم قد أرسلوا لتحطيم سلاسل العبودية البشرية ، عبودية الناس للناس ، و بعثوا ليخلصوهم من الظلم الغشوم ؛ من عبودية الآلهة الكاذبة والاستثمار الجائر .

قد بعثوا ليخففوا من غلواء من جاوزوا حدود البشرية ويفثأوا حميهم حتى يعيشوا فى الحدود التى قدرها الله لهم ، و يأخذوا بيد الذين ظلمهم البشر أمثالهم وأرهقوهم بصنوف من العذاب ، فيرفعوا مستواهم ثم يجمعوهم كلهم فى كلمة واحدة وتحت نظام للحياة الإنسانية عادل ، ولا يكون فيه أحد عبداً لأحد ، بل يكونون جميعاً عباداً لله وحده ، فجميع رسل الله إلى الخلق من أبى البشر سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدهم وخاتمهم مولانا النبىّ الامىّ صلى الله عليه وسلم ، كانت رسالتهم إلى الخلق واحدة ؛ مقالة وجيزة ، كما جاء بلسان الوحى : « يَاقَوْمِ اُعْبُدُوا

اللهَ مَا لَـكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ » وهذه هى المقالة التى قالها نوح وجاء بها هُود ودعا إليها صالح وشعيب (١) صلوات الله عليهم أجمعين ، وبذلك نادى وإليها دعا سيدنا ومولانا الرسول النبىّ الأمىّ صلوات الله عليه وسلامه كما ورد فى التنزيل :

« إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ » . (سورة ص : ٦٥ ، ٦٦)

« إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ .. أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » . (الأعراف : ٥٤)

« ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ » (الأنعام : ١٠٢)

« وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » . (البينة : ٥)

---

(١) راجع : القرآن الكريم سورة هود : الآيات ٢٦ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤

« تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ » (آل عمران : ٦٤) .

فهذا هو النداء الربانى الذى حرر العقول والأفكار وكل ما أوتى البشر من القوى العقلية والمادية من أغلال العبودية التى كانوا يرسفون فيها ووضع عنهم إصرهم الذى كانوا يرزحون تحته .

فهذا الحق كان صَكّاً (Charter) [1] للحرية البشرية الحقيقية ، وبذلك أثنى الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه :

« وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » . (الأعراف : ١٥٧)

---

(١) اقترح علينا هذه الترجمة لكلمة (Charter) الدكتور مأمون الحموى . راجع مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٣٤ : ٤) .

النظرية السياسية فى الإسلام

ومبدؤها الأساسى

هذه العقيدة هى روح ذلك النظام الذى أسس بنيانه الأنبياء عليهم السلام ومناط أمره وقطبه الذى تدور رحاه حوله وهذا هو الأساس الذى ارتكزت عليه دعامة النظرية السياسية فى الإسلام أن تنزع جميع سلطات (Powers) الأمر والتشريع من أيدى البشر منفردين ومجتمعين ولا يؤذن لأحد منهم أن ينفذ أمره فى بشر مثله فيطيعوه ، أو يسن قانوناً لهم فينقادوا له ويتبعوه فإن ذلك أمر مختص بالله وحده لا يشاركه فيه أحد غيره ، كما قال هو فى كتابه : —

« إنِ الحُكْمُ إلَّا لِلهِ أمَرَ ألَّا تَعْبُدُوا إلَّا إيَّاهُ . ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ » (يوسف : ٤٠)

« يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَىْءٍ . قُلْ إنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ » (آل عمران : ١٥٤)

« وَلاَ تقولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ » (النحل : ١٦٦)

« وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (المائدة : ٤٥)

فهذه الآيات تصرح أن الحاكمية (Sovereignty) لله وحده وبيده التشريع وليس لأحد — وإن كان نبياً — أن يأمر وينهى من غير أن يكون له سلطان من الله . والنبي أيضاً لا يتبع إلا ما يوحى إليه :

« إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ » .

وما وجب على الناس طاعةُ النبي إلا لأنه لا يأتيهم إلا بالأحكام الإلهية .

قال الله عز وجل :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ » . (النساء : ٦٤)

« أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ » (الأنعام : ٨٩)

« مَا كَانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ » . (آل عمران : ٧٩)

فالخصائص الأولية للدولة (state) الإسلامية ، كما يظهر من الآيات التى ذكرناها ، ثلاث :

١ — ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو لسائر القاطنين فى الدولة نصيب من الحاكمية فإن الحاكم الحقيقى هو الله والسلطة الحقيقية مختصة لذاته تعالى وحده والذين من دونه فى هذه المعمورة إنما هم رعايا فى سلطانه العظيم .

٢ — ليس لأحد من دون الله شىء من أمر التشريع والمسلمون جميعاً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً لا يستطيعون أن يشرعوا قانوناً ولا يقدرون أن يغيروا شيئاً مما شرع الله لهم .

٣ — أن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنيانها إلا على ذلك القانون والمشرع الذى جاء به النبى من عند ربه مهما تغيرت

الظروف والأحوال والحكومات (Governement) التى بيدها زمام هذه الدولة (state) لا تستحق طاعة الناس إلا من حيث أنها تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى فى خلقه .

وضعية الدولة الإسلامية :

كل من نظر إلى هذه الخصائص التى ذكرناها آنفاً علم لأول وهلة أنها ليست ديمقراطية (Democracy) فإن الديمقراطية عبارة عن منهاج للحكم الذى تكون فيه السلطة للشعب جميعا فلا تغير فيه القوانين ولا تبدل إلا برأى الجمهور ولا تسن إلا حسب ما توحى إليهم عقولهم . فلا يتغير فيه من القانون إلا ما ارتضته أنفسهم وكل ما لم تسوغه عقولهم يضرب به عرض الحائط ويخرج من الدستور إخراجا .

هذه خصائص الجمهورية وأنت ترى أنها ليست من الإسلام فى شيء . فلا يصح إطلاق كلمة الجمهورية أو الديمقراطية على نظام الدولة الإسلامية ، بل أصدق منها تعبيراً كلمة الحكومة الإلهيـــة أو الثيقراطية (Theo - cracy) ولكن الثيقراطية

الأوربية تختلف عنها الحكومة الإلهية (الثيقراطية الإسلامية) اختلافاً كلياً فإن أوروبا لم تعرف منها إلا التى تقوم فيها طبقة من السدنة (Priest Class) مخصوصة ، يشرعون للناس قانوناً من عند أنفسهم[1] حسب ما شاءت أهواؤهم وأغراضهم ، ويسلطون ألوهيتهم على عامة أهل البلاد متسترين وراء القانون الإلهى ، فما أجدر مثل هذه الحكومة أن تسمى بالحكومة الشيطانية منها بالحكومة الإلهية .

وأما الثيقراطية التى جاء بها الإسلام فلا تستبد بأمرها طبقة من السدنة أو المشايخ ، بل هى التى تكون فى أيدى المسلمين عامة ، وهم الذين يتولون أمرها والقيام بشئونها وفق ما ورد به كتاب الله وسنة رسوله . ولئن سمحتم لى بابتداع مصطلح جديد لآثرت كلمة « الثيقراطيــة الجمهورية » (Theo — democracy)

---

(١) لم يكن عند البابوات القساوسة المسيحيين شىء من الشريعة إلا مواعظ خلقية مأثورة عن المسيح عليه السلام ولأجل ذلك كانوا يشرعون القوانين حسب ما تقتضية شهوات أنفسهم ثم ينفذونها فى البلاد قائلين إنها من عند الله ، كما ورد فى التنزيل « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » (البقرة : ٧٩)

أو « الحكومة الإلهية الجمهورية » لهذا الطراز من نظم الحكم لأنه قد خول فيها للمسلمين حاكمية شعبية مقيدة .

(Limited Popular Sovereignty)

وذلك تحت سلطة الله القاهرة (Parmouncy) وحكمه الذى لا يغلب ، ولا تتألف السلطة التنفيذية (Executive) إلا بآراء المسلمين ، و بيدهم يكون عزلها من منصبها ، وكذلك جميع الشئون التى لا يوجد عنها فى الشريعة حكم صريح لا يقطع فيها بشىء إلا بإجماع المسلمين .

وكلما مست الحاجة إلى إيضاح قانون أو شرح نص من نصوص الشرع ، لا يقوم ببيانه طبقة أو أسرة مخصوصة فحسب ، بل يتولى شرحه و بيانه كل من بلغ درجة الاجتهاد من عامة المسلمين .

فمن هذه الوجهة يعد الحكم الإسلامى ديمقراطياً Democracy إلا أنه — كما تقدم ذكره من قبل — إذا وجد نص من نصوص الكتاب والسنة فى شأن من الشئون فليس لأحد من

أمراء المسلمين أو مجتهد أو عالم من علمائهم ولا لمجلس تشريعى (Legislature) لهم ، بل ولا لجميع المسلمين فى العالم أن يصلحوا أو يغيروا منه كلمة واحدة ومن هذه الجهة يصح عليها إطلاق كلمة « الثيقراطية » .

دفع شبهة :

ولرجل أن يقف فى هذا المقام و يقول إن الإسلام قد قيد الجمهورية بأنواع من القيود والحدود ، فمعناه أن الإسلام قد سلب الإنسان حرية الرأى والفكر ، والحال أنكم تزعمون — كما ادعيتم فيما تقدم — أن ألوهية الله الواحد تخول الناس حرية القول والأفكار والقوى البشرية جمعاء . فالجواب : إن الله لم يخص أمر التشريع لذاته ليسلب الناس حريتهم الفطرية ، بل خصه لنفسه ضناً به وصوناً له من اعتداء المعتدين ، ولئلا يضل الناس فيسلكوا طرائق قدداً ويقعوا فى المهالك .

وهذه الجمهورية الغربية المموهة التى يتشدقون بها . وبأن فيها حاكمية أو سيادة شعبية (Popular Sovereignty) ، إذا سبرت غورها وأنعمت النظر فى دخائلها علمت أن الذين تتكون منهم لا يسن كلهم القوانين ، ولا ينفذونها جميعاً ، بل يضطرون إلى تفويض سلطانهم إلى رجال يختارونهم من بينهم ليشرعوا قوانين ينفذونها ، ولأجل هذا الغرض يضعون نظاماً للانتخاب خاصاً ، ولا ينجح فيه إلا من يغر الناس ويستولى على عقولهم وألبابهم بماله وعلمه ودهائه ورعايته الكاذبة ، ثم ينفذون ذلك القانون الجائر على العامة بتلك القوة نفسها التى خولتهم إياها العامة، ثم يصبح هؤلاء الناجحون بأصوات العامة آلهة لهم ، يشرعون ما يشاءون من القوانين لا لمصالح الجمهور بل لمنافعهم الشخصية ومصالح طبقاتهم المخصوصة التى ينتمون إليها ، فهذا هو الداء العضال الذى أصيبت به أمريكا وانجلترا وسائر البلاد التى تدعى اليوم بأنها جنة للجمهورية ومأوى لها .

وبقطع النظر عن هاتيك المفاسد ، إن سلمنا أن القوانين تشرع فى تلك البلاد عن رضى العامة ، فقد أثبتت لنا التجارب أن العامة لا يستطيعون أن يعرفوا مصالحهم ، فإن البشر قد خلقهم الله على ضعف فطرى كامن فى نفوسهم ، فيرون فى أكثر أمور الحياة بعض جانب من الحقيقة ولا يرون بعضه الآخر ، ولا يكون حكمهم (Judgement) مرتكزاً على نقطة العدل عموماً ، وهم فى الغالب يكونون مغلوبين على أمرهم من العواطف والميول فيرفضونها لأجل غلبة العواطف والشهوات على أنفسهم ، وعندى لذلك أمثلة كثيرة ولكن حذراً من إطالة الكلام ، أقتصر على مثال واحد وهو « قانون منع الخمر الأمريكى » .

(Prohibition Law) فإن الأمة الأمريكية قد تحقق لها من الوجهتين العقلية والعلمية أن الخمر ضارة بالصحة ، ومفسدة للقوى الفكرية ، وهدامة لبناء المدنية الإنسانية . . . فنظرا إلى هذه الحقائق واطمئناناً لصحتها رضي الرأي العام الأمريكي

أن يُسن قانون منع الخمر ، فقررت الحكومة هذا القانون بآراء العامة وأصواتهم ، ولكن لما أنفذته فيهم لم يلبث الذين وضع القانون بآرائهم وأصواتهم أن خرجوا عليه ، وبدأوا يسعون فى الأرض فساداً بتعاطى الخمر ، والإبداع فى صناعتها على استخفاء ، والتفنن فى أخبث أنواعها أكثر مما كانوا يتعاطونها من قبل ، وكثرت فيهم المنكرات والفواحش إلى حد بالغ ، حتى اضطروا إلى أن يقوموا بنقض ما عاهدوا أنفسهم عليه و بتحليل ما كانوا قد حرموه ، فعلام أحلت أم الخبائث ؟ أو قد عادت الضارة عندهم نافعة بدليل علمى أوعقلى ؟ لا ، بل لأن أمّارتهم بالسوء قد استولت على نفوسهم ، وأسلموا لها قيادهم ، فكأن كل واحد منهم قد اتخذ إلهه هواه ، فأصروا فى عبودية إلههم الباطل على نسخ القانون الذى وضعوه بعد ما اعترفوا بصحته اعترافاً عقلياً وعلمياً .

هذه تجربة قد جربتها دولة متمدينة بمرأى منا ومسمع ، وفى التاريخ تجارب أخرى كثيرة توضح لنا أن الإنسان لا يستطيع

أن يكون شارعاً لنفسه بنفسه ، فإنه إن نجا من شرور عبودية الآلهة الكاذبة ، فلا يمكن تخلصه من تعبد شهواته الجاهلية والاستسلام لنزغات الشيطان الكامن فى نفسه ، فالبشر فى أشد الحاجة إلى أن تحد حريته بحدود ملائمة للفطرة الإنسانية وذلك لصالحه وصالح المجتمع الذى يعيش فيه :

ونظراً لهذا الغرض الأسمى قيد الله تعالى الحرية الإنسانية بقيود تسمى فى لغة الإسلام « حدود الله » وهذه الحدود تشتمل على عدد من الأصول والمبادئ والأحكام القطعية ، لتكون الحياة الإنسانية قائمة على الحق والعدل لاتحيد عنه ولا تتزحزح ، فهذه أسوار للحرية منيعة لايجوز لأحد أن يتجاوزها . نعم يجوز لهم أن يضعوا قوانين فرعية ، أو أنظمة ولوائح (Regulations) ضمن حدودها لما يعرض لهم من الحوادث .

أما إذا تعداها فلابد أن يختل نظام المجتمع البشرى اختلالا تاماً .

المقصود من وراء حدود الله :

وإنى أضرب لك مثلا الحياة الاقتصادية ، فإن الله تعالى قد ذكر لها فى كتابه حدوداً ، وهى إثبات حق الملكية الفردية والأمر بأداء الزكاة ، وتحريم الربا ، والميسر ، والاحتكار وقانون الإرث ، وتقييد جمع المال وإنفاقه بقيود معلومة ، فإن راعى الإنسان هذه الحدود وحافظ عليها ، وسير حياته الاقتصادية فى ضمن دائرتها بقيت حريته الشخصية (Personal Liberty) سالمة غير ضائعة ولا مسلوبة ، هذا من جانب ، وفى جانب آخر لاتتولد من تسلط طبقة على أخرى تلك الحال الشنيعة التى مبدؤها الرأسمالية Capitalism الغاشمة ومنتهاها سيطرة ديكتاتورية العمال .

وكذلك ننظر إلى الحياة المنزلية (Family Life) فإنها إن تركت حبل المرأة على غاربها أصبحت الدار ملأى بالجور والظلم ، وجعلت الشياطين تبيض فيها وتفرخ ، ولكن الله قيدها بالحجاب الشرعى وقوامية الرجل ، وبَيَّنَ حقوق الرجل والمرأة

والأولاد ، وأحكام الطلاق والخلع ، وحكم تعدُّد الزوجات تحت شروط ، وحدود الزنا والقذف . وبَيّنَ الله كل ذلك ليحد حياة البيت بحدود حكيمة ملائمة للفطرة البشرية ، إن تمسك بها الإنسان وعمل بها وجعل نظام الأسرة قائماً فى ضمن هذه القيود والحدود أصبح البيت جنة فيها هناء وسرور ، ولن يتدفق فيها سيل حرية النساء الشيطانية التى تهدد اليوم الأمن والسلام العالمي ، وتنذر المدنية الإنسانية بالانقضاء .

كذلك قد بين الله فى كتابه حدوداً للتمدن الإنسانى وحياة البشر الاجتماعية كالقصاص فى القتل وقطع اليد فى السرقة وحرمة الخمر وحدود الستر للعورة وغيرها من الأصول الثابتة الراسخة ، وذلك ليوصد باب الشر والفساد إيصاداً كاملاً إلى الأبد .

ومن دواعى الأسف أنى لا أجد متسعاً من الوقت لِأُفَصِّل القول فى حدود الله وألقى عليكم بياناً جامعاً ، يعلم منه ما لكل حَدٍّ من حدود الله من أهمية عظيمة وتأثير كبير فى إقامة الحياة

الإنسانية على الحق والنّصَفة ، ولـكن الذى أريد أن أُبيّن لـكم الآن ولو إجمالاً : أن الله سبحانه قد رزق الإنسان بهذه الحدود نظاماً مستقلاً ودستوراً Constiuton جامعاً لايقبل من التبديل والتغيير شيئا ، ولا يسلب الإنسان حريته ، ولا يعطل قواه الفكرية والعقلية ، بل ينهج للنوع البشرى طريقاً مُستبينا ، وصراطا مستقيما ، لئلا يضل فيقع فى مهاوى الحياة لجهله وضعفه المفطور عليه ، ولئلا تضيع قوته وسعيه فى طريق الباطل ، وليسلك سبيل الفلاح الحقيقى سلوكا مستقيما غير ضال ولا زال ؛ فمثله كمثل الطرق فى الجبل ، فإن اتفق لك أن تصعد فى الجبل ، رأيت طرُقاً محفوفة بالمخاطر ، ففى جانب هوّة عميقة وفى جانب آخر صخور شماء عالية ، وكذلك رأيت حوالى هذه الطرق أسلاكا منصوبة من الحديد ، وذلك لئلا يسقط المسافر من الهوّة ، فهل لقائل أن يقول إن الأسلاك الحديدية نصبت لوضع العقبات فى سبيل حرية ركب المسافرين ؟ لا ، بل إنما أقيمت ليسلموا من المهالك ، ولا يقعوا فى المخاطر ، نصبت لتهديهم

فى مواطن زلقة ، ومواضع خطرة ، إلى وجهتهم المستقيمة ، حتى يصلوا منازلهم التى قصدوها .

فهذا هو مثل الحدود الإلٰهية فى الإسلام ، فهى تعين لسفر الحياة البشرية وجهة الحق الصحيح ، وتهدى الناس فى كل مفترق للطرق والمنعطفات إلى طريق الأمن والسلام ، وتحولهم عن جميع المتجهات المنحرفة إلى متجه قويم .

وهذا الدستور والنظام الإلٰهى كما تقدم لنا القول لا يقبل شيئا من التبديل والتغيير ، فإن شئت خرجت عليه وأعلنت عليه الحرب كما خرجت عليه تركيا و إيران ، ولكن ليس لك أن تحدث فيه أدنى تغيير ، فإنه دستور إلهى سرمدى لا تغيير فيه ولا تبديل ، وقد كتب له أن يبقى ثابتاً واضحاً إلى يوم القيامة ، فالدولة الإسلامية عند ما يؤسس بنيانها يؤسس على هذا الدستور ، وما دام كتاب الله وسُنّة رسوله باقيين فى العالم ، فلا يمكن تحويل مادة من قوانينه عن مكانها ، فمن كان يريد أن يعيش مسلما فإنه محتم عليه إتباعه والاستمساك به .

غاية الدوله الإسلامية

للدولة الإسلامية القائمة على أساس هذا الدستور غاية ذكرها الله تعالى فى كتابه فى مواضع عديدة منها قوله :

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ » . (الحديد : ٢٥)

فالمراد من الحديد فى الآية هو القوة السياسية(١) . والآية قد بينت ما تبعث الرسل لأجله ، وهو أن الله قد أراد ببعثهم أن يقيم فى العالم نظام العدالة الاجتماعية (Sociajul stice) على أساس ما أنزله عليهم من البينات وما أنعم عليهم فى كتابه من الميزان أى نظام الحياة الإنسانية العادل . وقال فى موضع آخر :

« الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِى الْأَرْض أَقَامُوا الصَّلَاةَ

---

(١) أى قوة السلطان الذى يمنع بعض الناس من بعض كما قال الإمام الغزالى (م . الندوى) .

وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ » .
(الحج : ٤١)

وقال :

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ » . (آل عمران : ١١٠)

فمن تدبر هذه الآيات اتضح له أن الدولة التى يريدها القرآن ليست لها غاية سلبية (Negatrue) فقط بل لها غاية إيجابية (Positive) أيضاً ؛ أى ليس من مقاصدها المنع من عدوان الناس بعضهم على بعض وحفظ حرية الناس والدفاع عن الدولة فحسب ، بل الحق أن هدفها الأسمى هو نظام العدالة الاجتماعية الصالح الذى جاء به كتاب الله . وغايتها فى ذلك النهى عن جميع أنواع المنكرات التى ندد بها الله فى آياته ، واجتثاث شجرة الشر من جذورها ، وترويج الخير المرضى عند الله ، المبين فى كتابه ، ففى تحقيق هذا الغرض تستعمل القوة السياسية تارة ويستفاد من منابر الدعوة والتبليغ العام تارة أخرى ، ويستخدم

لذلك وسائل التربية والتعليم طوراً ، ويستعمل لذلك الرأى العام والنفوذ الاجتماعى طوراً آخر ، كما تقتضيه الظروف والأحوال .

فمن الظاهر أنه لا يمكن لمثل هـذا النوع من الدولة أن تجد دائرة عملها ؛ لأنها دولة شاملة محيطة بالحياة الإنسانية بأسرها وتطبع كل فرع من فروع الحياة الإنسانية بطابع نظريتها الخلقية الخاصة وبرنامجها الإصلاحى الخاص ، فليس لأحد أن يقوم فى وجهها ويستثنى أمراً من أموره قائلاً إن هذا أمر شخصى خاص لـكيلا تتعرض له الدولة . وبالجملة ، إن الدولة الإسلامية تحيط بالحياة الإنسانية وبكل فرع من فروع الحضارة وفق نظريتها الخلقية وبرنامجها الإصلاحى . فإذن هى تشبه الحـكومات الفاشية والشـيوعية بعض الشـبه ، ولـكن مع هذه الهيمنة (Lotality) لا يوجد فى الدولة الإسلامية تلك الصبغة التى اصطبغت بهـا الحـكومات المهيمنة (Lotalitarian) والاسـتبدادية (Authoritarian) فى عصرنا هذا . فلا يوجد فى الدولة الإسلامية شىء من سلب الحرية الفردية ، ولا أثر للسيطرة (الدكتاتورية)

والزعامة المطلقة . فالاعتدال الكامل الذى يوجد فى نظام الحكومة الإسلامية ، وتلك الخطوط الدقيقة التى خطتها بين الحق والباطل ، يشهدان عند أصحاب البصيرة أن مثل هذا النظام الصالح الوسط لا يضعه إلا الله الحكيم الخبير .

الدولة الفكرية

هذا ، والأمر الثانى يبدو لمن أنعم النظر فى دستور الدولة الإسلامية وغايته الحكيمة ووضعيَّته الإصلاحية ، هو أن هذه الدولة لا يتولى أمرها إلا الذين آمنوا بهذا الدستور ، وجعلوه غاية حياتهم ومطمح أنظارهم ، الذين لم يخضعوا لبرنامجه الإصلاحى ولم يظهروا تأييدهم لخطته العملية فحسب ، بل كان الإيمان بصدق تعاليمه قد تغلغل فى عروقهم وكانوا على معرفة تامة بروحه وطبيعته وما يشتمل عليه من التفاصيل والجزئيات ، وما اتخذ الإسلام فى ذلك حدوداً وقيوداً جغرافية أو لسانية أو عنصرية ، وإنما يعرض دستوره على الناس كافة ، ويبين لهم غايته وبرنامجه الإصلاحى ، فمن قبله منهم أياً كان وإلى أى نسل أو إلى أية

أرض أو أمة ينتمى ، فهو يصلح أن يكون عضواً فى الحزب الذى أسس بنيانه لتسيير دفة هذه الدولة . وأما من لم يقبله فلا يسمح له بالتدخل فى شئون الدولة أبداً وله أن يعيش فى حدود الدولة كأهل الذمة (Subject) متمتعاً بحقوق عادلة مبينة فى الشريعة لأمثاله ، وكذلك تكون له عصمة من قبل الإسلام حاصلة فى نفسه وماله وشرفه ، ولكن لا يكون له حظ فى الحكومة فى حال من الأحوال ، لأن الدولة دولة حزب خاص مؤمن بعقيدة خاصة وفكرة مختصة به ، وههنا أيضاً نوع من المماثلة بين الدولة الإسلامية والدولة الشيوعية ، ولكن الدولة الإسلامية بريئة كل البراءة مما تأتي به الدول الشيوعية من أعمال مخزية ضد الذين لا يوافقون على نظرياتها ، فلا يوجد فى الإسلام ما يوجد فى الدولة الشيوعية من تسليط آرائها الاجتماعية ومناهجها العمرانية على الناس قهراً بعد التغلب والتمكن فى الأرض ، واستصفاء أموالهم وسفك دمائهم وتعذيبهم بعذاب من النار والحديد ، أو أن يؤتى بمئات الألوف من الناس فيرمى بهم إلى سيبيريا جهنم

المعمورة الأرضية . وبالجملة ، كل ما أعطى الإسـلام أهل الذمة من الحقوق والامتيازات فى دولته ، وما خط فى هذا الشأن من خطوط بين الحق والباطل والعدل والظلم ، كل من رآها واطلع على محاسنها تبين له ما يكون من التفاوت العظيم بين المصلحين الإلهيين و بين الدجالين منهم ، فى أعمالهم و برامج إصلاحهم .

نظرية الخلافة

هذا ويحسن بى أن أقول كلمة موجزة فى هيئة الدولة الإسلامية وطراز بنائها . فالحاكم الحقيقى فى الإسلام إنما هو الله وحده كما تقدم الكلام عليه ، فإذا نظرت إلى هذه النظرية الأساسية وبحثت عن موقف الذين يقومون بتنفيذ القانون الإلهى فى الأرض ، تبين لك أنه لا يكون موقفهم إلا كموقف النواب عن الحاكم الحقيقى ، فهذا هو موقف أولى الأمر فى الإسلام بعينه .

قال تعالى فى كتابه العزيز :

« وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ »

(النور : ٥٥)

فهذه الآية توضح نظرية الدولة (Thoery oF State) فى الإسلام إيضاحاً مبيناً ، فإن الله قد بين فيها أمرين عظيمين ونكتتين أساسيتين :

فالنكتة الأولى أن الإسلام يستعمل دائماً لفظة الخلافة (Yicegerency) بدل لفظة الحاكمية (Sovereignty) ، وإذا كانت الحاكمية لله خاصة فكل من قام بالحكم فى الأرض تحت الدستور الإسلامى يكون خليفة (Vicegerent) الحاكم الأعلى ولا يتولى إلا ما ولاه المستخلف — أى الحاكم الأعلى — من أملاكه وعبيده نيابة عنه .

والنكتة الثانية البديعة فى هذه الآية أن الله قد وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف ، ولم يقل أنه يستخلف أحداً منهم ، فالظاهر من هذا أن المؤمنين كلهم خلفاء الله ، وهذه الخلافة التى أوتيها المؤمنون خلافة عمومية (Popular Yicegerency)

لا يستبد بها فرد أو أسرة أو طبقة ، بل كل مؤمن خليفة من الله ، وكل واحد مسئول أمام ربه من حيث كونه خليفة كما جاء فى الحديث :

« كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّته » .

وليس أحد منهم بأحط منزلة من آخر مثله فى هذا الشأن من أية وجهة كانت .

الجمهورية الإسلامية :

كل ما قدّمت آنفاً ، هو أساس الجمهورية الإسلامية ، وإذا أنعمنا النظر فى مبدأ هذه الخلافة العمومية التى جاء بها الإسلام ، ووقفنا على تفاصيلها ، ظهرت لنا النتائج الآتية :

١ — المجتمع الذى يكون كل عضو منه خليفة لا يتسرب إليه فساد التفريق بين الطبقات ، ولا شر الامتيازات التى تأتى من جهة الحياة الاجتماعية (Social Lifel) والفوارق النسبية ، ويكون أفراد هذا المجتمع سواسية ، لا يكون لأحد فضل على آخر إلا من جهة المواهب الشخصية ، والسجايا الذاتية ، وهذه

هى الحقيقة التى بيّنها النبى صلى الله عليه وسلم تبييناً ، وأوضحها مراراً كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم فى كلامه الجزل البليغ :

« ليس لأحد فضل على أحد إلا بدين أو تقوى ، الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب ، لافضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى »[(١)] .

ولما دخلت بلاد العرب كلها – بعد فتح مكة – فى حوزة الدولة الإسلامية ، قال النبى صلى الله عليه وسلم لعشيرته الذين كانوا يوم ذاك فى بلاد العرب بمنزلة البراهمة فى الهند . قال :

« يامعشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، أيها الناس : كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فخر للأنساب ، لا فضل للعربى على العجمى ، ولا للعجمى على العربى ، « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ »[(٢)] .

---

(١) المسند لابن حنبل رحمه الله تعالى ، ملتقى الأخبار مع نيل الأوطار (جزء ٤ ص ٣١١) .

(٢) الجامع الترمذى – مشكاة المصابيح : باب المفاخرة .

٢ — وفى مثل هـذا المجتمع لا تحول عقبات النسل أو الحرفة أو المنزلة فى المجتمع بين الفرد أو جماعة من الأفراد و بين مواهبهم الشخصية وتنمية سجاياهم الفردية وملكاتهم المتنوعة المستودعة فى نفوسهم ، بل لكل فرد من أفراد المجتمع أن يترقى إلى ماشاء الله و إلى ما آتاه الله من استعداد وقوة ، من غير أن يمنع الآخرين من التقدم والرقى الفطري ، وهذا ما نجده فى الإسلام إلى درجة ليس وراءها مطمح لناظر ؛ فإن الموالى وأبناءهم قد نصبوا ولاة على الأقاليم وقواداً للعساكر ، وقد اتبع أمرهم رؤساء البيوتات الشريفة ، وعاشوا تحت ولايتهم ، طائعين غير كارهين ، وكذلك كثير ممن كان يخصف النعال أصبحوا أئمة الناس ، وكذلك النساجون والبزازون وغيرهم من أصحاب الحرف والمهن ، تبوؤوا مناصب الإفتاء والقضاء ، وهؤلاء كلهم يعدون اليوم من شيوخ الإسلام والسلف الصالح . وقد ورد فى الحديث أن النبى صلى الله

عليه وسلم قال : « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي »[1]

٣ — وفي مثل هذا المجتمع ، لا يكون لرجل أو طائفة أن تستبد بالأمر أو تتسنم عرش الديكتاتورية ، لأن كل فرد من أفراد هذا المجتمع خليفة ، ولا يجوز لطائفة أو فرد من أفرادها أن ينتزع حق الخلافة من جمهور المسلمين وينصب نفسه مسيطراً عليهم ، والذي يتولى هذا الأمر في الاسلام — منزلته الحقيقية — أن جمهور المسلمين أو الخلفاء — إن آثرنا الكلمة الاصطلاحية — قد فوضوا خلافتهم إلى رجل منهم وجعلوها مركزة (Conentrated) في ذاته لتنفيذ الأحكام ، وتسيير دفة الأمر بسهولة ، وذلك عن رضى منهم . واتفاق كلمتهم ، فهو مسئول عند الله في جانب ، وبجانب آخر مسئول عند عامة الخلفاء أي المسلمين الذين فوضوا إليه أمر الخلافة . فإن استبد بالأمر ونصب نفسه ديكتاتوراً مطاعاً على الإطلاق ،

---

(١) الجامع الصحيح للبخاري — مشكاة المصابيح : باب الإمارة

فهو غاصب وليس بخليفة ، لأن الديكتاتورية بحقيقتها ضد الخلافة العمومية ، ومما لا مجال فيه للريب أن الدولة الإسلامية دولة مهيمنة أو مطلقة (Totalitarian) ، محيطة بجميع فروع الحياة ونواحيها ، ولكن أساس هذه الهيمنة والإحاطة التامة (Tolality) إنما هو القانون الإلهى الجامع الواسع الذى وكل إلى الحاكم المسلم تنفيذه فى الناس ، فكل ماورد فى الكتاب العزيز من البينات والتعاليم الشاملة لجميع نواحى حياتهم ، إنما ينفذ فيها تنفيذاً محيطاً جامعاً ، لكن الحاكم المسلم ليس له أن يتخذ خطة التقييد الاجتماعى[1] (Regimentation) من تلقاء نفسه ، معرضاً عن تلك التعاليم والبينات ، فلا يجوز له أن يقهر الناس على اختيار حرفة دون أخرى ، وكذلك ليس له أن يقهرهم على اكتساب فن دون آخر ، أو تعليم أولادهم نوعاً من العلوم دون آخر ، فإن الإسلام لم يخول الأمير تلك السلطة المطلقة الذى استبد بها

(١) التقييد الاجتماعي : اصطلح عليه فى البلاد التى كانت قد استبدت بأمرها الدكتاتورية كألمانيا وإيطاليا ومعناه أن يقيد سكان البلاد أجمعون بقيود وأصفاد من قوانين الحكومة فى جميع نواحى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية (م . الندوى)

الطواغيت المسيطرون (Dictators) فى روسيا وألمانيا و إيطاليا ، وتمتع بها واستخدمها « أتاتورك » فى تركيا .

وهناك نكتة أخرى مهمة، وهى أن كل فرد من أفراد المسلمين مسئول عند الله بصفته الفردية (Personal Responsibility) لا يشاركه فيها أحد غيره ؛ فلا بد أن يعطى كل فرد حرية تامة فى حدود القانون ليختار مايشاء من خطة ، و يستعمل قوته للتبريز فيما تميل إليه نفسه من صناعة ، فإن حالت دون ذلك عقبات من قبل الأمير فهو ظلم يعاقب عليه عند الله ، ومن أجل ذلك لن تجد أثراً من أمثال هذا التقييد الاجتماعى فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين المهديين.

٤ — ومن حق كل فرد فى هذا المجتمع سواء كان ذكراً أو أنثى ـ إذا كان عاقلا بالغاً ـ أن يكون له رأى فى مصير الدولة لأنه منعم عليه بنصيبه من الخلافة العمومية ، ولم يخص الله تلك الخلافة بشروط خاصة من الكفاءة والثروة ، بل هى مشروطة بالإيمان والعمل الصالح فحسب ، فالمسلمون سواسية فى حق التصويت و إبداء الرأى .

التوافق بين الفردية والاجتماعية

هذه نبذه مما يوجد فى الإسلام من مزايا الجمهورية الصالحة ، وبجانب آخر قد سد الإسلام باب الفردية . (Indlvldualism) الهدامة للاجتماعيـة (Soclaiam) فلا تضيع فى نظـام الإسلام شخصية الفرد كما تضيع فى نظامى الشيوعية والفاشية ، وكذلك لا يتعدى الفرد فى الإسلام حدوده بحيث يكون ضاراً للجماعة كما هو شأنه فى نظام الجمهورية الغربية . وإن غاية حياة الفرد فى الإسلام إنما هى غاية الجماعة بعينها ؛ أى تنفيذ القانون الإلهى فى الدنيا وابتغاء وجهه تعالى فى الآخرة . وزد على ذلك أن الإسلام قد منح الفرد ما كان يتعلق بذاته من الحقوق ، وكذلك فرض عليه واجبات مخصوصة للجماعة ، وبهذه الصورة ظهر بين الفردية والاجتماعية فى الاسلام توافق (Honmony) غريب بحيث يتيسر للفرد نماء قوته وارتقاء شخصيته ، ثم يصبح عوناً بقوته الراقية فيما فيه خير وسعادة للمجتمع . وهذا موضوع مستقل لا يسعنى فى هذا الموقف استيفاء حقه من البيان ، وإنما أردت مما أشرت

إليه آنفاً أن أسد باب سوء التفاهم الذى يمكن للقارىء أن يقع فيه مما جئت به من شرح للجمهورية الإسلامية فى الفصل المتقدم .

الدولة الإسلامية وما يتألف عنها :

إذا تأملت بعض ما تقدم لى بيانه فيما سبق من تصور (Conception) الخلافة العمومية والإحاطة بفروعه وتفاصيله ، تبين لك أن منزلة الإمام أو الأمير أو الرئيس فى الدولة الإسلامية ليست بأكثر ولا أقل من أن جمهور المسلمين — الخلفاء — قد اختاروا عن أنفسهم رجلا هو أفضلهم وأتقاهم وأودعوه ما بيدهم من أمانة الخلافة ، وأما تسميته بالخليفة فليس معناه أنه هو الخليفة وحده ، بل معناه أن خلافة المسلمين العمومية أصبحت مركزة فى ذاته .

وهنا أنا مفض إليكم بشىء من التفاصيل عن الحكم الإسلامى ولو على وجه الإجمال ، لتتجلى لكم منه صورة واضحة وبيد الله التوفيق :

أولا : إن انتخاب الأمير لا يكون إلا على أساس الآية الشريفة .

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » (الحجرات : ١٣)

أى لا ينتخب للإمارة إلا من كان المسلمون يثقون به وبسيرته وبطباعه وخلقه ، فإذا انتخبوه فهو ولى الأمر المطاع فى حكمه ولا يعصى له أمر ولا نهى ، ويعتمد عليه فى تنفيذ الأوامر اعتماداً كاملا ، ما دام يتبع الشريعة ويحكم بالكتاب والسنة .

ثانياً . الأمير الإسلامى ليس له فضل على جمهور المسلمين فى القانون ، وإنما هو رجل من الرجال ، يوجه إليه النقد فيما يتراءى للعامة من الأخطاء فى سياسة للناس ، والزلات فى حياته الذاتية فهو يعزل إذا شاءت الأمة ، وترفع عليه القضايا فى المحاكم ، ولا يستحق أن يعامل فيها معاملة يمتاز بها عن غيره من المسلمين

ثالثاً : الأمير محتوم عليه المشاورة فى الأمر . ومجلس الشورى لا بد أن يكون حائزاً ثقة جميع المسلمين ، وليس من

المحظور الشرعى أن ينتخب هذا المجلس بأصوات (Voes) المسلمين وآرائهم ، وإن لم يكن له نظير فى عهد الخلافة الراشدة .

رابعا : والأمور تقضى فى هذا المجلس بكثرة آراء أعضائه فى عامة الأحوال ، إلا أن الإسلام لا يجعل كثرة العدد ميزاناً للحق والباطل :

« قُلْ لَا يَسْتَوِى الخبِيثُ والطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخبيث »
(المائدة : ١٠٠)

فإنه من الممكن فى نظر الإسلام أن يكون الرجل الفرد أصوب رأياً وأحد بصرا فى مسألة من المسائل من سائر أعضاء المجلس ، فإن كان الأمر كذلك ، فليس من الحق أن يرمى برأيه لأنه لا يؤيده جمع غفير .

فالأمير له الحق أن يوافق الأقلية أو الأغلبية فى رأيها ، وكذلك له أن يخالف أعضاء المجلس كلهم ويقضى برأيه ، ولكنه من الواجب على جمهور المسلمين أن يراقبوا الأمير وسيرته فى رعيته مراقبة شديدة ، هل هو يتصرف فى الأمور ويحكم فيها

على تقوى من الله أم بهوى من نفسه ؟ فإن رأوه يتبع الهوى في عمله فلهم أن يعزلوه ويخلعوه عن منصبه .

خامسا : لا ينتخب للإمارة أو لعضوية مجلس الشورى أو لأي منصب من مناصب المسئولية من يرشح نفسه لذلك أو يسعى فيه سعياً ما ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنا والله لا نولى هذا العمل أحداً سأله أو حرص عليه » .

ومن المؤكد أنه ليس في المجتمع الإسلامي محل للترشح (Candidature) للمناصب والدعايات الانتخابية أصلا، ومما يمجه الذوق الإسلامي وتأباه العقلية الإسلامية ، أن يقوم لمنصب واحد اثنان أو ثلاثة أو أربعة من طلابه ، فينشر كل واحد منهم خلاف الآخر من نشرات تبكي لها المروءة ويندى لها جبين الشرف الإسلامي، ويعقدون حفلات لمدح أنفسهم والطعن فيمن سواهم ويستخدمون الصحف والجرائد للدعاية استخداماً ، ويغرون أصحاب الأصوات بأنواع من الحيل المخجلة، ويطمعونهم في المال وتجرى سياراتهم ليل نهار لتسفيه الناس، ثم ينجح منهم من كان

أكثرهم كذباً وميناً ، وأدهاهم تلفيقاً وتزويراً ، ومن كان أشدهم إسرافاً للمال . فهذه طرق ملعونة للجمهورية الشيطانية ، لو وجد من فعل عشر معشارها فى الدولة الاسلامية لرفع أمره إلى المحكمة وعوقب عليها عقابا شديداً ، فضلا عن أن ينتخب عضوا لمجلس شورى الخلافة .

سادساً : وفى مجلس الشورى الإسلامى لا يمكن أن ينقسم أعضاؤه جماعات وأحزاباً ، بل يبدى كل واحد منهم رأيه بالحق بصفته الفردية ، فإن الإسلام يأبى أن يتحزب أهل المشورة ويكونوا مع أحزابهم سواء كانت على حق أو على باطل ، بل الذى يقتضيه الروح الإسلامى أن يدوروا مع الحق حيثما كان لا يحيدوا عنه قيد شعرة أبداً ، فإن وجدوا اليوم رأى واحد منهم حقاً وصواباً فليكونوا معه ، وإن وجدوا رأى ذلك الرجل نفسه فى مسألة أخرى فى الغد خلافا للحق فليعارضوه .

سابعاً : إن مجالس القضاء والحكم فى الإسلام خارجة عن حدود الهيئات التنفيذية ، تماما ، لأن القاضى من وظيفته تنفيذ

القانون الإلهى فى عباد الله ، فلا يتولى الحكم فى مناصب القضاء نائباً عن الخليفة بل عن الله عز وجل ، فليس الخليفة فى مجلسه إلا كرجل من الرجال ، وليس لأحد أن يستثنى من الحضور فى مجلس الحكم لأجل شرفه أو شرف أسرته أو لأجل ما عهد إليه من المناصب الرفيعة ، و إن الرجل و إن كان أجيراً أو فلاحا أو فقيراً معدما له أن يرفع القضية إلى مجلس الحكم على العلية من الناس حتى على أمير المؤمنين نفسه ، وللقاضى أن يحكم بالحق ويجرى قانون الشرع على الخليفة إذا تحققت القضية عليه كما يحكم على رجل من عامة المسلمين وكذلك إذا كان الخليفة يشكو من أحد شكوى تتعلق بذاته ، فليس له أن يطفىء غليل نفسه ممن يشكوه بما عنده من القوة والسلطة التنفيذية ، بل هو مضطر من جهة الشرع أن يرفع قضيته إلى المحكمة كعامة المسلمين .

خاتمة

هذا ولا يمكنني في هذه المحاضرة الموجزة أن أرخي عنان الكلام في خصائص الدولة الإسلامية وتفاصيلها من نواحيها المتشعبة ، فإن روحها ومنهاج الحكم في دائرة نفوذها لا يمكن التفطن إلى دقائقها إلا بعد الاطلاع على مثل من مجريات الدولة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .

ومن دواعي الأسف أن ضيق الوقت [1] يعوقني عن الإطالة ويحملني على طرق باب الاختصار ، وبالجملة فإني أرى أن ما بينته فيما تقدم فيه كفاية لاستجلاء صورة واضحة لطراز الدولة الإسلامية ومنهاجها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(انتهى الكتاب)

---

(١) أصل الرسالة محاضرة كما جاء في مقدمة الترجمة .

تلخيص

نقاط أثارها الكاتب فى بحثه :

١ — الإسلام نظام محكم أسس على مبادىء حكيمة متقنة ، ترتبط أركانه الكبيرة المهمة بجزئياته الصغيرة الدقيقة ارتباطا منطقيا ، وكل ماوضع فيه للحياة الإنسانية بمختلف شعبها من النظم ، إنما هو قد أخذ روحه واقتبس جوهره من تلك الأصول الأولية . ومن هذه المبادىء والأصول تخرج الحياة الإسلامية بمختلف فروعها .

٢ — إن منبع الشر والفساد الحقيقى فى المجتمع الإنسانى إنما هو « ألوهية الناس على الناس » وهذه هى النظرية المشئومة التى تولد الشر من بطنها فى أول أمره ، وهى التى لا تزال تتفجر منها عيون الشر اليوم فى كل مكان . فبمقتضاها فشا الظلم والجور والاستثمار الممقوت ، والتكبر فى أرض الله بغير الحق ، وحرمت الروح البشرية حريتها الفطرية ، وغلبت العقول البشرية على أمرها ، ومنعت الشخصة الإنسانية كمال نشوئها وارتقائها .

٣ — إن رسل الله جميعاً قد أرسلوا لتحطم سلاسل العبودية البشرية ، عبودية الناس للناس ، قد بعثوا ليخلصوهم من غُلواء من جاوزوا حدود البشرية ، ويضربوا على أيديهم حتى يعيشوا فى الحدود التى قدرها الله لهم ، ويرفعوا الذين ظلمهم البشر وأرهقوهم بصنوف من العذاب ، ثم يجمعوا كلهم على كلمة واحدة وتحت نظام للحياة عادل ، لا يكون فيه أحد عبداً لأحد ولا معبودا بل يكونون جميعا عباد الله وحده .

٤ — ان خصائص الدولة الإسلامية ثلاث :

(١) السيادة (Sovereignty) لله وحده وليس لغيره من البشر .

(٢) التشريع لله وحده وليس لنا الخروج عليه .

(٣) حكومة المسلمين تستمد طاعتها من تنفيذها لشريعة الله وسنة رسوله .

٥ — الدولة الإسلامية فريد طرازها ، فهى « الدولة الإلهية الجمهورية » (Thoe—Democrocy) خول فيها للمسلمين سلطان شامل لجميع طبقاتهم فى دائرة التشريع المنزل ، تحت سلطة الله القاهرة وحكمه الذى لا يغلب ، ولا تتألف الهيئة التنفيذية إلا بآراء المسلمين فبيدهم يكون عزلها من منصبها

٦ — البشر فى أشد الحاجة إلى أن تحد حريته بحدود ملائمة للفطرة الإنسانية تحقيقا لصالح الفرد والمجتمع ، ولذلك قيد الله تعالى الحرية الإنسانية بحدود إلهية تشتمل على عدد من الأصول والمبادىء والأحكام القطعية ، لتكون الحياة الإنسانية قائمة على الحق والعدل ، لا تحيد عنه ولا تتزحزح إذ هذه أسوار منيعة للحرية لا يجوز لأحد أن يتجاوزها .

٧ — إن الدولة القرآنية ليست لها غاية سلبية فقط بل لها غاية إيجابية أيضا ، أى ليس من مقاصدها المنع من عدوان الناس بعضهم على بعض وحفظ حرية الناس والدفاع عن الدولة فحسب ، بل الحق أن هدفها الأسمى هو نظام العدالة الاجتماعية الصالح الذى جاء به كتاب الله ، فهى بذلك دولة عامة محيطة بالحياة الإنسانية بأسرها ، وتطبع كل فرع من فروع هذه الحياة بطابع نظريتها الخلقية الخاصة وبرنامجها الإصلاحى الخاص بها

٨ — لا يتولى أمر هذه الدولة إلا الذين آمنوا بدستورها وجعلوه غاية حياتهم ومطمح أنظارهم ، الذين تغلغل الإيمان فى أحشائهم ، وامتزجت تعاليمه بلحومهم ودمائهم ، وعلموا تفاصيله علما جامعا وافيا لا أثر فيه لعامل جغرافى أو لونى أو لسانى .

٩ — ندب الله تعالى — وهو صاحب السيادة المطلقة — المسلمين ليكونوا خلفاء فى الأرض ، وهذه الخلافة لا يستبد بها فرد أو أسرة أو طبقة ، بل كل مؤمن خليفة لله فى موضعه ، وليس أحد منهم بأحط منزلة من أحد .

١٠ — من مزايا هذه الجمهورية الإسلامية :

(١) أن أفراد المجتمع سواسية لا فضل لأحد على آخر إلا من جهة الكفاية الشخصية والسجايا الذاتية .

(٢) لكل فرد من أفراد المجتمع أن يترقى إلى ماشاء الله بحسب ما أتاه الله من استعداد وقوة من غير أن يمنع الآخرين من التقدم والترقى الفطرى .

(٣) فى مثل هذا المجتمع لا يجد رجل أو جماعة سبيلا للاستبداد بالأمر ، فالحاكم منفذ لشريعة إلهية واضحة ، مسئول أمام من وكله الله أمرهم من المسلمين .

١١ — ومنهاج الحكم الإسلامى :

(١) ينتخب المسلمون أتقاهم دينا وأوضحهم كفاية ثم يلتزمون طاعته ما أطاع الله ورسوله .

(٢) ليس للحاكم الإسلامى فضل على جمهور المسلمين فى نظر القانون .

(٣) يلزم الأمير برأى أهل الشورى المنتخبين من عامة المسلمين .

(٤) تفرض على المسلمين مراقبة حاكمهم فى تنفيذ القانون ولهم حق عزله إن اتبع هواه .

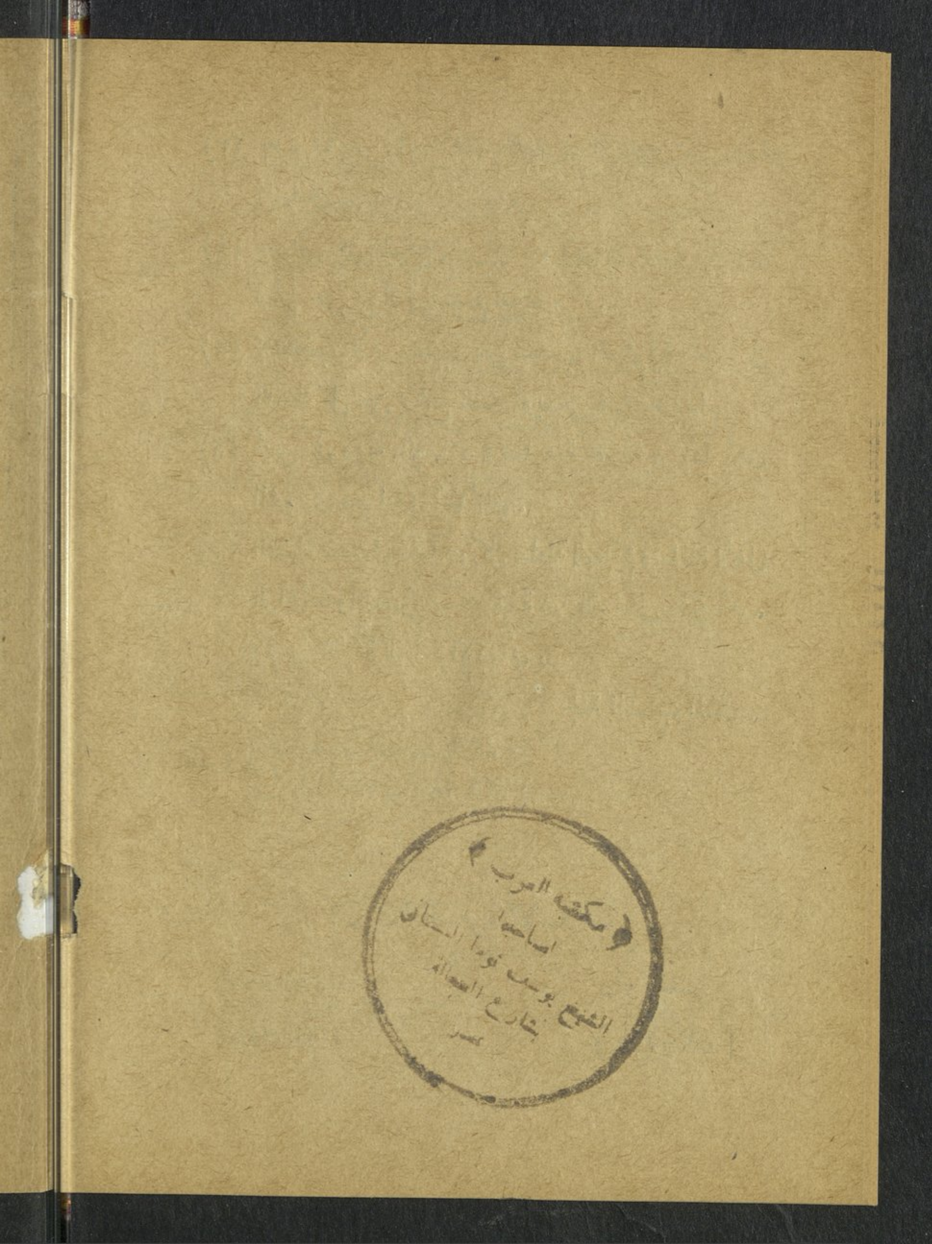
(٥) لاينتخب لأى منصب من مناصب المسئولية العامة فى الدولة كل من يرشح نفسه أويسعى فيها سعيا ما .

(٦) ليس فى دولة الإسلام « معارضة محترفة » إنما أهل الشورى مع الحق أينما كان .

(٧) القضاء مستقل تماما عن كل سلطة للحاكم وسلطة لأهل الرأى ، والقاضى نفسه خليفة عن الله تعالى يحكم بأمره وليس بخليفة للحاكم الإنسانى .

لجنة الشباب المسلم

القاهرة فى { غرة ذى القعدة سنة ١٣٧٠
٤ أغسطس سنة ١٩٥١ }



منشورات دار العروبة للدعوة الإسلامية

باللغـــة العربية

١ ــ نظرية الإسلام السياسية

٢ ــ منهاج الإنقلاب الإسلامى

٣ ــ الدين القيم

٤ ــ الإسلام والجاهلية

٥ ــ معضلات الاقتصاد وحلها فى الإسلام

٦ ــ شهادة الحق

٧ ــ نظام الحياة فى الإسلام

٨ ــ الجهاد فى سبيل الله .

٩ ــ الجماعة الإسلامية (دعوتها وأهدافها ومنهاج عملها)

١٠ ــ الإسلام ودعوته .

عنواننا بپاكستان :

دار العروبة للدعوة الإسلامية

راولبندى — Rawlpinbi

(باكستان) — (Pakistan)

دعوتنا

١ — دعوتنا للبشر كافة والمسلمين خاصة أن يعبدوا ال[illegible]
وحده ولا يشركوا به شيئا ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره

٢ — ودعوتنا لكل من أظهروا الرضا بالإسلام د[illegible]
أن يخلصوا دينهم لله ويزكوا أنفسهم من شوائب النفا[illegible]
وأعمالهم من التناقض .

٣ — ودعوتنا لجميع أهل الأرض أن يحدثوا إصلا[illegible]
عاما فى أصول الحكم الحاضر الذى استبد به الطواغي[illegible]
والفجرة الذين ملأوا الأرض فساداً ، وأن ينتزعوا هذ[illegible]
الإمامة الفكرية والعملية من أيديهم حتى يأخذها رجا[illegible]
يؤمنون بالله واليوم الآخر ويدينون دين الحق ولا يريدو[illegible]
علواً فى الأرض ولا فساداً .

الجماعة الاسلامية بالباكستان

الثمن ٤ قروش

مطبعة دار الكتاب ال[illegible]

DATE DUE



